جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

الإرهاب مفهوما وغاية

بين

الرؤية الإسلامية والغربية

الدكتور

إمام رمضان إمام

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد - جامعة الأزهر
كلية التربية - قسم الدراسات الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وإخوانه وأصحابه والتابعين.....،

وبعد ، ، ،

مقدمة البحث:

يقف العالم شرقه وغربه، شماله وجنوبه، منذ زمن ليس بالبعيد أمام ظاهرة مثلت تهديدا عاما لكافة أمم وشعوب الأرض قاطبة، اصطلح على تسميتها – بالإرهاب–تلكمو الظاهرة التى استحوذت على اهتمام كافة طوائف المجتمع الإنسانى دون استثناء بداية من حكام الدول الملقبة بالدول العظمى، التى يقف على قمة رأسها الهرمى الولايات المتحدة الأمريكية، ثم دول الإتحاد الأوروبى مرتبة حسب القوة العسكرية والاقتصادية، مرورا بملوك وأمراء دول العالم العربي الذين يملكون القدرة المادية على التأثير فى الأحداث الدولية والإقليمية بسبب آبار النفط ليس إلا.

ووفقا لقواعد اللعب الدولى مع فرق عالم الكبار، فإن أهم قاعدة من قواعد اللعب مع هؤلاء هى المرتكزة على مقولة: إن كل من كان على هذه الشاكلة من التأثير فهو وبلا شك يقع فى دائرة التأثر، سواء أكان تأثرا مباشرا أوغير مباشر؛ ونهاية بحكام ودول وشعوب صنفت من قبل الأمم المتحدة على أنها نامية، ذلك النمو الذى يسير فى اتجاه واحد فقط، يمكن أن نطلق عليه اسم – النمو السفلى – بالاستناد إلى واقعها المتدنى فى كافة مجالات الحياة التى لايحتاج القارئ إلى تسميتها هنا، إذ هى أعرف من أن تعرف، وأظهر من أن تنكر، وذكرها سيكون من قبيل تحصيل الحاصل، ولا زالت تلك الدول تنطلق

بوضعها المنقلب – النمو لأسفل – نحوالهاوية بسرعة ربما تفوق سرعة انطلاق العالم الأول فى نموه لأعلى، نموالتقدم والارتقاء، فنحن ننمو لأسفل فى كل شيئ بفعل فاعل، حتى أصبحنا من أكبر منتجى مواد التخلف فى العالم – إن لم نكن أكبرمنتجيها على الإطلاق – نملك منها ما يكفى لتخلف العالم كله، ويبقى فى الأرصدة الإسلامية والعربية احتياطى يكفى لتغطية احتياجات العالم كله لعشرات من الأجيال المقبلة، ومن ثم أصبحنا وفق الرواية الأروأمريكية، والصهيوصليبية، أكبرمصدرى الإرهاب فى العالم، استنادا إلى مابين التخلف والإرهاب من علاقة لزومية بحسب تعبير المناطقة.

ولقد سعى عالم الكبار إلى إصباغ القداسة على ذاته، وارتداء عباءة العصمة المنزهة له من خطيئة التخلف وارتياد عالم الإرهاب، أما عالمنا الملوث بكافة أنواع الخطايا، المبتلى بكل أفات التدنى والهدم، فإنه موصوم، موصوم باعتبار الجنس، موصوم باعتبار الدين، موصوم باعتباراللغة، وموصوم أيضا باعتبار الجهة، حيث الشرق على وجه العموم والشرق الأوسط على وجه الخصوص، بما فى ذلك الدول النائمة على بحار من النفط، إذ لولا الذهب الأسود لكان واقع هؤلاء أشد سوادا من ظلمة الليل الحالك؛ كل هذا وأكثرمما يمتلأ به جراب العالم الأول – الغرب أمريكى والصهيوصليبى – من جرائم واتهامات تلصق بنا أوتكال لنا وفق سير الأحداث، وبحسب المناسبات – السياسية والاقتصادية–، وخاصة عند وقوع الكوارث والحوادث الإرهابية – الصغرى قبل الكبرى –، وهذا كله ليس من قبيل الاتهامات المرسلة التى تفتقر إلى الأدلة والبراهين، لكنه وكما يقول دائما المدعون بالحق الدولى جاء وفق النتائج والبحوث المستفيضة التى قام بها جمهرة من كبار باحثيهم ومفكريهم الذين تم تجنيدهم خصيصا بعد التأكد من صدق الرغبة عندهم لوصم الإسلام

والمسلمين بالإرهاب، متكئين فى سبيل تحقيق ذلك على سرد عدد من الأحداث التاريخية والتعاليم الدينية التى يتم تأويلها تأويلا يتوافق مع منهجهم فى التفرقة العنصرية، وكذلك فى التسلط والقهر.

ولقد أتت هذه البحوث أكلها إذ من خلال التصنيف الدولى الذى يصدره العالم الغرب أمريكى يتم وضع الإسلام والمسلمين على رأس قائمة ممارسى الإرهاب فى العالم لتكتمل أركان الجريمة، ومن ثم صدر الحكم بالإدانة، حكما نهائيا لا تراجع عنه أبدا، إذ محاكم هؤلاء القوم التقاضى فيها – بالنسبة لقضايانا المعروضة عليهم – تسمى بمحاكم الدرجة الواحدة، حيث لاتقبل بعد صدورأحكامها استئنافا ولانقضا.

وهنا، وعند هذا الحد الذى تجاوز المدى يجب أن ننهض، يجب أن ننتفض؛ ننتفض **أولا:** كمسلمين – بادى ذى بدء – للزود عن الدين الإسلامى الحنيف الذى أرادوا له الأفول والزوال، فألبسوه تارة عباءة الإرهاب، وتارة أخرى ألبسوه عباءة التخلف؛ وننتفض **ثانيا:** كباحثين لفضح أكاذيب الغرب وأكاذيب مفكريه وباحثيه الذين زعموا ويزعمون أنهم ملاك الحقيقة والحق المطلق. وعلى حد قول أحد الباحثين المنتمين عقلا وقلبا إلى ذلك الجانب الغرب أمريكى من العالم رغم كونه من بنى جلدتنا: إن الإنسان منذ نشأته ينشد الحقيقة المطلقة بحكم أن العقل الإنسانى ينزع بطبيعته نحو توحيد المعرفة... والإنسان ينشد الحقيقة المطلقة كذلك بحكم إحساسه بعدم السكينة فى هذا الكون المجهول... بيد أن اقتناص الحقيقة المطلقة لم يكن بالأمر الميسور. فقد تعددت الحقائق المطلقة، وتعدد المطلق تناقض فى الحدود بحكم أن المطلق واحد، ولايمكن أن يكون إلا كذلك، ومن ثم فالإنسان إما مالك للحقيقة المطلقة، وإما معدوم منها، وإما باحث عنها[1].

وتبقى الحقيقة التى يغفلها البعض عمدا، والبعض الأخر يغفلها جهلا، وهى: أنه ليس شرطا أن من ملك الحقيقة يملك الحق بالضرورة، لكن الذى يملك الحق يملك الحقيقة بالضرورة. وتبقى الحقيقة، ويبقى الحق أننا – كأمة إسلامية – نؤمن بأن الحقيقة المطلقة هى الحقيقة القائلة بوجود الله، ووحدانيته فى الذات والصفات والأفعال، إنها الحقيقة والحق العقلى و الدينى المطلق الذى لاريب فيه، إذ ها هنا مطابقة للفطرة، تلك الفطرة المؤيدة ببراهين العقل والنقل، وإن خالفنا المخالفون فذاك شأنهم، لانكره أحدا على اتباعنا، ولا يكرهنا أحد على اتباعه "**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**"(٢)، ذلك منهجنا المنبثق من دستور إسلامى رسخ فى قلوب معتنقيه حرية اختيارالإعتقاد بالاستناد إلى نص قطعى الدلالة "**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**"(٣)، من أجل ذلك نسلم بوجود الآخر المخالف لنا فى العقيدة "**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**"(٤). هذه هى الحقيقة المطلقة التى نؤمن بها، ونؤمن بما يصدرعنها، وما دون ذلك يخضع لقاعدة – القليل – المشار إليه فى قوله تعالى: "**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**"(٥)،

فالآية الكريمة تحمل فى طياتها دلالات متعددة، نسوق منها على سبيل المثال لا الحصر هاتين الدلالتين:

الدلالة الأولى: إن العلم لم ولن يبوح لأحد بكلمته النهائية التى يغلق على إثرها أبواب البحث العلمى والاجتهاد؛ مما يترتب عليه بقاء أبواب البحث العلمى مفتحة على مصرعيها حتى قيام الساعة.

الدلالة الثانية: إن نتائج البحوث العلمية فى سوادها الأكبر تتغير بتغير الزمان والمكان، فلا تزال – كما يقول العقاد –: بين ناقص يتم، وغامض يتضح، وموزع يتجمع، وخطأ يقترب من الصواب، وتخمين يرتقى إلى اليقين، ولا يندر فى القواعد العلمية أن تتقوض بعد رسوخ، أوتتزعزع بعد ثبوت؛

ويستأنف الباحثون تجاربهم فيها بعد أن حسبوها من الحقائق المفروغ منها عدة قرون.(٦)

ومن ثم فإن إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام و المسلمين على وجه العموم، والعرب على وجه الخصوص دون سواهم من أمم وشعوب الأرض من قبل هؤلاء، ليس من الحقائق المطلقة المسلم لهم بها تسليم بداهة، وذلك إذا ما اتفق معنا مفكرو الغرب الأمريكى وباحثوه على الدلالتين المستخلصتين من الآية الكريمة السابقة، والتى لايمكن لعالم أو مفكر أو باحث محايد، أن ينكرهما، أو يجادل فيما ذهبتا إليه مهما كان تعصبه لفكره، ومهما كانت عقيدته التى يؤمن بها؛ ومن منطلق هاتين الدلالتين أخوض غمارالبحث فى ماهية الإرهاب وغايته، وذلك بدءا من الاستقراء والمقارنة بين وجهتى النظر– الغرب أمريكية والإسلامية –، ثم بيان مالهما وما عليهما من خلال المقارنة و التحليل والنقد، مع استنباط النتائج التى تتجلى أمام العقل تجليا حقيقيا، لاريب ولاشك فيه، والتى تدعمها الأدلة الساطعة، وتؤيدها البراهين الدامغة، مع اعتبار آداب البحث والأمانة العلمية.

وتبقى الكلمة التى لطالما رددها الباحثون المحايدون من وراء الإمام الشافعى (رحمه الله) عندما كان يختلف بالرأى مع غيره، فيقول: رأى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب. فما أصبت فيه فهذا هدى من الله، وما جانبنى فيه الصواب فلا يلقى بتبعاته إلا على عقل اجتهد قدر الإمكان والطاقة، فإن حال الخطأ بينه وبين الفوز بأجرين – أجر الاجتهاد وأجر الإصابة – فحسبى أجر الاجتهاد، والله من وراء القصد، هوحسبنا ونعم الوكيل.

الواقع بين الأقوال والأفعال:

تضيع الحقيقة ومعها يضيع الحق، تضيع العدالة ومعها يضيع العدل، فإن كنت باحثا عن الحق فلا تغفل البحث معه عن العدل، إذ لامعنى للحق بغيرعدل، ولا قيام للعدل بغيرإقرارالحق.والحق ما ذكره – الإعلان العالمى لحقوق الإنسان – فى مادتيه ١٨و٢٥ حيث جاء فى **الأولى:** لكل إنسان الحق فى حرية الفكر والضمير والدين، ويتضمن هذاالحق حريته فى تغيير دينه أو عقيدته، وحريته فى إظهاردينه أو عقيدته، وحريته فى الإعراب عنهما بالتعليم والممارسة وإقامة الشعائر سرا وجهرا، وحده أومشتركا مع غيره(٧).

وجاء فى المادة الثانية: لكل إنسان الحق فى مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة له ولأسرته، ويتضمن هذا حقه فى المأكل والملبس والمسكن وفى الرعاية الطبية والخدمات الاجتماعية الضرورية، وفى تأمين معيشته فى حالات البطالة والعجز والترمل والشيخوخة أو غير ذلك من حالات العوز الناشئة عن ظروف لا قبل له بها.(٨)

وماذكرهنا هو الحقيقة كما أسلفنا القول، فأين الحق؟

الإجابة تقول: إن واقع الإنسانية بين الاستبداد والقهر، بين العنصرية والاستعباد، بين الإحتكار والإحتقار، إن الواقع يشهد بغياب الحق وتخلفه عن الحقيقة بفعل من أفاعيل طائفة من البشر صاغوا المواد السابقة وغيرها فى قالب من الألفاظ التى لم تغادر السطور أبدا إلى واقع الأفعال وحيز التطبيق لاسيما فى عالمنا الإسلامى على وجه العموم، والعالم العربى على وجه الخصوص؛ واستمع معى إلى هذا الصوت القادم من جهة الغرب أمريكى، والذى يصف واقع سياسة التصنيف العالمى للأمم والشعوب وهو يقول: يبدو أن تزايد الاعتماد على التصنيف القائم على الدين لأهل هذا العالم يميل إلى جعل

رد الفعل الأوروبى على الصراع والإرهاب الكوكبى تخلو من أى براعة، فاحترام الناس الآخرين يتم التعبير عنه بالثناء على كتبهم الدينية، بدلا من ملاحظة الأنشطة والإنجازات المتعددة الأوجه فى مختلف المجالات الدينية وغير الدينية على السواء، لأناس مختلفين فى عالم متفاعل على مستوى الكوكب. ففى مواجهة ما يطلق عليه الإرهاب الإسلامى- فى التعبيرات المشوشة لسياسات العولمة المعاصرة، فإن القوة الفكرية للسياسة الغربية موجهة بشكل أساسى لمحاولة تعريف- أوإعادة تعريف- الإسلام تعريفا يسمح بإقامة فدرالية من الأديان والحضارات(٩).

تحكم وتتحكم فيها وفى مقدساتها تلك الدول التى أنشأت- عصابة الأمم المتحدة - وكتبت مواثيقها؛ تحكم وتتحكم فيها دول الغرب أمريكى التى عمدت إلى إعادة تصنيف البشر وفقا لدينهم، وكما قال- **أمارتيا صن**-: الحقيقة أن من أهم مصادر الصراعات الكامنة فى العالم المعاصر الزعم بأن الناس يمكن تصنيفهم تصنيفا متفردا مؤسسا على الدين أو الثقافة. ويمكن للاعتقاد المضمر فى القوة المهيمنة لتصنيف انفرادى أن يجعل العالم كله قابلا للاشتعال فى لحظة (١٠).. والسؤال الذى يفرض نفسه هنا- علينا وعلى الآخرين - من الذى يحمل أعواد الثقاب؟ من الذى سيشعلها؟

من الذى يملك رفاهية تفجير العالم وإحراقه؟ من المستفيد؟ وكيف ستكون الاستفادة مع سياسة الإحراق؟

وهنا يجب ألا تغب عنا ملاحظة أن- **صن**- بدأ مقولته بكلمة - الحقيقة - لكن ما الحقيقة التى يغيب عنها دائما الحق؟ خاصة عندما يتحدث الغرب أمريكى عن الإسلام، فيزعم التفرد بالحقيقة فى التصنيف والأقوال، إن هذا ما يتأكد لنا بعد ذلك على لسان - **صن**- أيضاعندما قال: ويمكن، بالطبع، أن يكون

التصنيف الدينى أوالحضارى مصدرا للتحريفات الحربية أيضا. وعلى سبيل المثال يمكن أن يأخذ شكل معتقدات غير ناضجة عبر عنها **ويليام بويكنز** الضابط الأمريكى – برتبة فريق– فى مقولته المدوية والمعروفة جيدا الأن فى وصف معركته ضد المسلم، بعبارة فظة رديئة، قائلا: كنت أعلم أن ربى أكبر من ربه، وأن الرب المسيحى، كان ربا حقيقيا، بينما كان رب المسلمين فكرة خاطئة.(١١)

فإن كان هذا الضابط – حامل رتبة الفريق – قد تناول المقارنة بين ربه ورب المسلمين، ثم انتهى من مقارنته إلى هذه النتيجة التى جعلت من إلهه إلها حقيقيا، وجعلت من إله المسلمين مجرد فكرة خاطئة دون بحث علمى جاد فى ماهية الإلهين، ودون أن يقدم لنا، أولغيرنا الدليل على صحة ما توصل إليه من خلال دراسات فى علم مقارنة الأديان، فإن الأمر لن يقف عند هذا الحد، بل سيتجاوزه إلى صور متعددة من صورالسخرية والازدراء من إله المسلمين تارة، وتارة أخرى من نبيهم (ﷺ) متحصنا ويليام بوكنز ومن على شاكلته بالجنسية الأروأمريكية من جهة، ومن جهة أخرى تشدقه وأمثاله بمصطلح الحرية الذى تنعم به دولهم فى ظل الأنظمة السياسية المدعية تحصنها بالديمقراطية، ورافعة لواءها.

فأين هنا ما أقرته مواثيق الأمم المتحدة من احترام الأديان!؟ إضافة إلى عدد من التساؤلات الأخرى التى تطرح نفسها بقوة ومنذ أمد بعيد، من مثل: أين حقوق الإنسان فى العمل؟ أين حقوق الإنسان فى المسكن؟ أين حقوق الإنسان فى الطعام، أين حقوق الإنسان فى الصحة وفى التعليم؟ أين حقوق الإنسان فى كرامته، فى إنسانيته التى نزعت منه إنتزاعا لحساب الغير؟ وخلاصة القول أين الحق فى الحياة؟.

الإجابة فيما يقول مورلابيه: العلاج الذى يقدم لتخفيف ألم صراعنا بسيط: كفوا عن الاحساس.إذ يقال لنا إن الأخلاق اليهودية- المسيحية قد مضى عهدها فى هذه الحقبة الجديدة من الندرة الغذائية، وإن التعاطف ترف لم نعد نستطيعه، وإن نزعة فعل الخيراليهودية- المسيحية هى الجذر الحقيقى لمأزق العالم الراهن. يقال لنا يجب أن نتعلم أخلاقا جديدة، هى أخلاق العقل المتجرد، لابد أن نتعلم كيف ندع الناس يموتون(١٢).

يموتون جوعا باسم إله اليهودية، باسم إله المسيحية، باسم أخلاق العقل المتجرد من أبسط معانى الإنسانية، لنقتل نحن، لكى ينعم هؤلاء برغد العيش.

فإن لم يكن هذا أحط أنواع الإرهاب الذى تمارسه الدول العظمى، فما هو الإرهاب الأشد إنحطاطا؟

سيقال لنا، وسيقال للعالم كله، إن أحط أنواع الإرهاب هو إرهاب المسلم، لاسيما المسلم العربى؛ إنه إرهاب الهوية، إرهاب الجنس، إرهاب الدين، إرهاب العقيدة.فما حقيقة الإرهاب الإسلامى؟وما حقيقة الإرهاب الغرب أمريكى و الصهيومسيحى؟ ما حقيقة الإرهاب الذى يصدره العالم الغرب أمريكى لكل بقعة من بقاع المعمورة؟ وما الوسائل والغايات والأهداف التى يسعى إليها صناع وناشروالإرهاب فى العالم؟ تلكم التساؤلات التى يبحث الكل لها عن إجابة منذ زمن بعيد، وغالبا ما تأتى فى صور استنتاجات من مقدمات لم يثبت صحتها، تفوح منها روائح العنصرية العرقية والعنصرية الدينية؛ وواقع الأمة الإسلامية والعربية يفرض علينا النزول لهذا المعترك، بحثاعن إجابة جادة لهذه التساؤلات، فى الصفحات التالية.

تحرير مفهوم الإرهاب:

ما كان لهذا السؤال الذى لم يطرح نفسه، ولم نطرحه نحن من قبل على أنفسنا، عند كل المحاولات التى بذلت لتحرير مفهوم الإرهاب فى الداخل أوالخارج هو: هل كلمة- إرهاب- تقودنا معصوبى البصر والبصيرة إلى حيث تريد هى؟ أم نحن من يمسك بزمامها، فنرتفع بها تارة إلى أسمى معانيها، ثم تارة أخرى نهوى بها إلى هوة سحيقة لنكتشف من خلالها أحط معانيها، التى تهدف إلى الهدم لا البناء، إلى الفرقة والتشرذم، لا إلى الإتحاد والوحدة؟

والحق أنه لاتراودنى لحظة شك واحدة فى أن الإجابة المتكأة على أسس منطقية، البعيدة عن الأحكام المسبقة، المبنية على قواعد المذاهب النفعية والأهواء النفسية، ستحمل لنا فى طياتها، لا أقول مفهوما جديدا للأرهاب وحسب، لكن على أقل تقدير سيصبح لدينا مفهوما متكاملا يستند إلى قاعدة قيادة العقل للكلمة، بدلا من قاعدة قيادة الكلمة للعقل، وهى عين القاعدة التى أراد لها العالم الغرب أمريكى، والصهيو صليبى الرواج والشيوع فى المفاهيم العامة التى تتلقاها الأجيال جيلا بعد جيل والقائمة بيننا الأن، من خلال التسلط الثقافى والإعلامى.

مفهوم الإرهاب فى اللغة:

انطلاقا من مقولة الشيخ الإمام محمد عبده: "كل من طلب غاية فى حياته بغير علم لايصل إليها" (١٣)، فإن غايتنا التى نسعى إليها فى هذا البحث لايمكن تحقيقها إلا من خلال علمنا باللغة، إذ من المعلوم أن لغتنا العربية لغة علم وتعليم وتعلم، ففيها نجد الحقيقة والمجاز، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمنطوق والمفهوم، والمشترك اللفظى وغيره؛ فهى من السعة والإتساع حيث

قدرلها أن تكون لغة القرآن الكريم لقوله تعالى:)**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)[١٤] .

وبالرجوع إلى معاجم اللغة العربية، والبحث فيها عن كلمة- إرهاب- لتحديد الاشتقاق والمفهوم اللغوى وجد أن هذه المعاجم متفقة على أن: أرهبه واسترهبه (أخافه)، و رهب خاف[١٥] والاسم الرهبة فهو راهب من الله والله مرهوب، والأصل مرهوب عقابه[١٦] وقيل: أرهب فلانا: خوفه وفزعه. والإرهابيون- وصف يطلق على الذين يسلكون سبل العنف والإرهاب لتحقيق أهدافهم السياسية[١٧].

وفى المنجد: هم من يلجأون إلى الإرهاب لإقامة سلطة ما، ومجمل القول: يفيد بأن السياق اللغوى للكلمة يشير جملة إلى أن مقاصدها تحريك قوى الخوف النفسى من أدنى معانيها إلى أعلاها المتمثلة فى الفزع والرعب، هذا المقصد الذى لاريب فيه يهدف أنه إلى غاية أو غايات ينشد بلوغها؛ ولايمكن لنا بأية حال من الأحوال إدراك المفهوم الحقيقى للإرهاب إلا من خلال الوقوف على ماهية الغاية التى يستهدف تحقيقها، سواء أكانت غاية آنية، أو غاية مستقبلية.

مفهوم الإرهاب فى الشرع:

إن مفهوم الإرهاب فى شريعتنا الإسلامية يستمد من القرآن الكريم كمصدر أول من مصادر التشريع لنا، من هنا نأتى للكلمة فى سياق عدد من آيات القرآن الكريم، نستهلها: -

أولا: بقوله تعالى: **(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)**[١٨].

ثانيا: قوله تعالى: **(وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُالْوَارِثِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)**[١٩].

ثالثا: قوله تعالى: **(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)**[٢٠].

رابعا: قوله تعالى: **(قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ – قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ)**[٢١].

ففى الآيات الأربع سالفة الذكر نجد فى الآية الأولى قوله تعالى– فارهبون– يعنى لا تخافوا أحداغيرى، واحذروا من أسباب غضبى عليكم[٢٢]، وقيل فارهبون– أى فاخشون – حتى لا أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التى قد عرفتم من المسخ وغيره، وهذا انتقال من الترغيب إلى الترهيب، فدعاهم إليه بالرغبة والرهبة، لعلهم يرجعون إلى الحق[٢٣].

وفى الآية الثانية: جاء قوله تعالى– رغبا ورهبا– يعنى – كما قال الثورى: رغبا فيما عندنا ورهبا مما عندنا[٢٤]، وقيل رغبا أى طمعا في رحمتنا، ورهبا أى خوفا من عذابنا[٢٥].

وفى الآية الثالثة: جاء قوله تعالى – ترهبون به – أى: تخوفون به الكفار المتربصين بكم الدوائر، وتخيفوا آخرين لاتعلمونهم الآن والله يعلمهم[٢٦].

وفى الآية الرابعة: جاء قوله تعالى– واسترهبوهم – أى: أوقعوا فى قلوبهم الرهب والرعب[٢٧].

وهنا يتبين لنا أن الآيات الأربع سالفة الذكرقد حملت إلينا عددا من المعانى لمفهوم الإرهاب، فليس دلالة الكلمة كلها كما – اعتدنا سلبا –، وأن دلالتها ليست كلها إيجابا؛ إذ بين الإيجاب والسلب، وبين البناء والهدم، تدور مفاهيم

كلمة إرهاب وما يشتق منها من مثل – أرهب ورهب – إلـخ..–؛ وهـذا مـا سيتأكد لنا فى سطور البحث والصفحات التالية.

الإرهاب أنواعه ومقاصده:

ربما نتمكن الآن بعد استعراض مفهوم الكلمة فى سياق الآيات أن نحـدد المفهوم والغايات التى يستهدفها الإرهاب، لكن البداية ينبغى أن تكون بالتفرقـة بين نوعين من الإرهاب، فهناك نوع من الإرهاب أصدق مايعرف بـه بأنـه – الإرهاب صاعد – وهو الإرهاب الذى يهدف إلى البناء، والنوع الثـانى علـى النقيض منه، لذا يصدق فيه التعريف بـ الإرهاب الهابط – إذ يهـدف هـذا النوع من الإرهاب إلى الهدم؛ وقد يكون مثـل هـذا التعريـف أوالتـصنيف للإرهاب – أولا– صادما للبعض، و ثانيا – قد يكون موضع نقد واستهجان من قبل البعض الآخر، على اعتبار أن ثقافة العالم وثقافتنا التابعة له لا تـرى فـى الإرهاب إلا الجانب المظلم، أى جانب الهدم فقط لاعتبارات عدة، قد تكون فـى الغالب الأعم سياسية، وربما تكون فى البعض منها، عقائدية أيـضا، بيـد أنـه ينبغى التأكيد على أنه لايمكن لنا إدراك جوهرالمفهوم الأول للإرهاب بعيدا عن إدراك جوهرالمفهوم الثانى، ولاجوهر المفهوم الثانى بعيدا عـن جوهرالمفهـوم الأول، لما بينهما من مشابهة لفظية، ومخالفة منهجية.

أولا: الإرهاب الصاعد "إرهاب البناء":

الإرهاب الصاعد هو إرهاب البناء الذى تتجلى لنا مقاصده فـى الآيـات– **الأولى والثانية والثالثة**– ففى **الآية الأولى:** دعوة للخوف من الله حتى لا تنكـر نعمه، ولا يخلف وعده، فإقرار النعمة هو إقـرار واعتـراف بالفـضل لأهـل الفضل، وهذا ماتهدف إليه البشرية فى بناء المنظومة الخلقية للفرد والجماعـة، فهاهنا إرتقاء بالقيم والمثل العليا التى يحفزها الخوف من الله؛ إذا ما أخذنا فـى

الاعتبار تعريف الخوف بأنه: توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب[٢٨]، ولقد قيل فى منثور الحكم: من أمن العقوبة أساء الأدب؛ كما وإن الآية تحمل إلزاما بالوفاء بالعهد، وتحذرمن مغبة نقضه لم فى ذلك من ضياع للدين وهلاك للنفس قال تعالى: **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ)**[٢٩]، فهذا هو عهد الله الأكبر الذى توعد من ينكره بعذاب أليم، مستخدما- جل فى علاه- الترهيب، والمرادف له- التخويف - حتى لاتنزلق النفس فى هوية الضلال والكفر فتهلك، داعيا إياها للحفاظ على صرح الدين ومرغبا فى الإيمان والوفاء بالعهد، قال تعالى: **(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)**[٣٠].

ولايخفى على كل ذى عقل يعى أن الوفاء بالعهد بين بنى البشر بعضهم بعضا لهو من جملة مكارم الأخلاق التى تسعى الإنسانية إلى التحلى بها، وفى نقضه نقيصة اصطلح على تسميتها بـــ الغدر والخسة والخيانة - وتلك من صفات الأخلاق الذميمة التى تهدف إلى هدم المجتمع، على حين يأبى الإسلام إلا البناء الذى يرتقى بالإنسانية جمعاء؛ كما لا يمكن أن يخفى على أرباب العقول الفطنة أن مثل هذا النوع من الإرهاب النفسى الصاعد يمارسه كل راع مسؤول عن رعيته، إذ يمارسه الحاكم فى سبيل نهضة أمته وسعادتها، والارتقاء بها إلى مصاف الأمم الواقفة على أعلى درجات سلم الحضارة، فيسن فى سبيل تحقيق ذلك قوانينا هدفها الإثابة، وأخرى تهدف إلى العقاب، شرط أن يكون الجميع أمام هذه القوانين سواء، فلا تطبق على العامة من الناس وأصحاب الطبقة الدنيا، ويستثنى منها من نصبوا أنفسهم على الناس سادة، وهم الذين لقبوا بأصحاب الطبقة العليا، فإن مثل هذه التفرقة، ومثل هذا الاستثناء لهو

مفتاح هلاك الأمم ودمار حضارتها؛ أكد هذا بما لا يدع مجالا للشك حديث المخزومية التى سرقت، فأمر رسول الله (ﷺ) بقطع يدها، إذ كما جاء فى الصحيحين عن أم، المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: كانت مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبى (ﷺ) بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه فيها فكلم النبى (ﷺ) فقال له النبى (ﷺ): يا أسامة لا أراك تشفع فى حد من حدود الله تعالى، ثم قام النبى (ﷺ) خطيبا فقال: إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها؛ وأمر بالمخزومية فقطعت يدها.

ولاريب فى أن ممارسة مثل هذا النوع من الإرهاب أو الترهيب أو التخويف لهو عين ما يمارسه كل راع مسؤول عن رعيته، إذ ينتهج عين المنهج بالسعى نحو المقاصد لتحقيق نفس الغايات...وهلم جر.

وأما **الآية الثانية:** فإن الرهب الذى هو الخوف قد تجاوز فيها ما فى الآية الأولى إلى ما يمكن أن نسميه رهب الاستثمار فى العلاقة بين الخالق والمخلوق، بين العابد والمعبود، بين الله الذى لامعبود بحق سواه، وبين العبد الذى أقر له بالوحدانية – ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً– مسلما له الوجه والقلب، طامعا فى قبول الطاعة وحسن الثواب، وغفران المعصية لكل من تاب من الذنب وأناب، فالخوف هنا يتمثل فى الخوف من عدم قبول الرجاء والعمل، ورده على صاحبه، ولنا فى مقولة أبى بكرالصديق (رضي الله عنه): إنى لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدماى فى الجنة والأخرى خارجها؛ منهجا ننتهجه فى علاقتنا بالله، فتلكم المقولة ذات دلالة على ماهية هذا الخوف الذى يشحذ همم العبد، فيشمرعن ساعد الجد للوقوف بين يدى ربه، داعيا وراجيا وملحا عليه بقبول ما يصدر منه

قولا وعملا؛ ولعل ما قاله أحد الباحثين من: أن مادة الأدرينالليين التى يفرزها الجسم البشرى فى حالة الخوف الشديد، يصاحبها حيوية شديدة، ونشاط خارق، مما يؤدى إلى القيام بأعمال ليست فى الحسبان قد لايقوى عليها الإنسان فى حالته الطبيعية(٣١). دعوة حقيقية للخوف من الله، باعتباره أعلى مراتب الخوف، رغم أن الباحث أغفل هذا النوع من الخوف عندما حدد مصادر الخوف فى **ثلاثة هى:**

أ- الخوف من المجهول.

ب- الخوف من المعلوم الذى تبين ضرره.

ج – الخوف من شيىء ارتبط بالضرر(٣٢)،

فما بالنا بالخوف من الله، وهوالذى ينبغى أن يكون فى مصادر الخوف- **أولا:** من حيث الترتيب، بحيث يصبح دافعا لنشاط فوق العادة فى الطاعة والعبادة، رهبة من رفض الله لعمل العبد، لم فى ذلك من خسران مبين، وطمعا فى قبوله، لم فى ذلك من فوز عظيم.

وأما **الآية الثالثة:** فقد حظيت بما لم تحظ به سابقتيها من اهتمام علماء الأديان، وأرباب التفسير والفقه، إضافة إلى أساتذة العلوم السياسية وقائدى قاطرة الثقافة الإنسانية، عالميا ومحليا، لا لشيىء إلا لأن الفعل- ترهبون- الوارد فى سياق الآية وقع بين أمرين إلهيين؛ **الأمر الأول:** إعداد القوة قدرالاستطاعة "**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ**" **الأمرالثانى:** الغاية من إعداد هذه القوة وهى إرهاب وتخويف وردع أعداء الله ، وأعداء المسلمين: "**تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**"، ففى الآية الكريمة حث صريح وأمرعلى الاستعداد لملاقاة العدو، فالحرب قديما وحديثا أمر خطير جلل تتوقف عليه مصائر الأمم، لذلك فهى

جديرة بالتحضير والتجهيزات والإعداد فى مختلف نواحى العدد والقوة والعتاد، ودخول الحرب دون تجهيز وإعداد يسبب الفشل، ونحن نرى الدول الآن تستعد فى وقت السلم للحرب، وتبنى سياستها واستراتيجيتها وتعبئ جميع مواردها للحصول على النصر فى الحرب متى استدعت الضرورة الدخول فيها، والحرب الآن شاملة يشترك فيها الشعب والجيش(٣٣).

والملاحظة التى أدركها المسلمون فى الآية – قولا وعملا – قديما، وقولا دون العمل– حديثا– أن كلمة– قوة– الواردة فى الآية جاءت نكرة للدلالة على إعداد مطلق القوى، لا قوة التسلح فحسب، وما على القارئ إلا ليتذكرمقولة الإمام محمد عبده التى استهللت بها هذا البحث بأن: كل من أراد غاية فى حياته دون علم لا يصل إليها؛ فإن قوة التسليح تتطلب قوة التصنيع، وقوة التصنيع تتطلب قوة العمل، وهذا وذاك يتتطلب قوة العلم، لأن الأمة الجاهلة لا يمكن لها أن تملك من أمرها شيئا، إنها بجهلها يقودها غيرها ولا تقود نفسها وإن زعمت غير ذلك، إن أمة الجهل هى أمة تابعة لا أمة متبوعة، أمة تابعة لكل ما يفرض عليها من غيرها، أمة قوامها وقيامها دائما بغيرها لا بنفسها، ومن كان على هذه الشاكلة، ، فهولا يملك قراره، لا يملك إرادته، هو باختصار عبد لايملك إلا أن يدور فى فلك سيده.

ثانيا: الإرهاب الهابط "إرهاب الهدم":

الآية الرابعة: لم ينته بعد أثر **الآية الثالثة** فى تحديد مفهوم الإرهاب، بل إن مفهوما جديدا يناقض المفهوم الإسلامى السابق قدم للعالم من منطلق التأويل الغرب أمريكى لهذه الآية لينتقل بها من الإرهاب الصاعد البناء إلى الإرهاب الهابط الهدام؛ وإن نظرة فاحصة للآية الرابعة ستقف بالعقل الإنسانى على

مفهوم حقيقى للإرهاب الهدام الذى تمثله الأدوارالتى لعبها فرعون وسحرته، فى مقابلة الدور الذى لعبه نبى الله موسى (عليه السلام) وكما قال ابن كثير فى تفسيره: هذه مبارزة من السحرة لموسى (عليه السلام) الذى قال لهم ألقوا- أولا ما أنتم ملقون- ليرى الناس صنيعهم ويتأملوه، فإذا فرغوا من بهرجهم جاءهم الحق الواضح الجلى بعد التطلب له والانتظار منهم لمجيئه، فيكون أوقع فى النفس(٣٤).

وقال: فلم ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم - أى خيلوا إلى الأبصارأن ما فعلوه له حقيقة فى الخارج ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال(٣٥).

ولن تجد أبلغ ولا أحكم من هاتين الكلمتين اللتين وصفتا ما جاء به سحرة فرعون من سحر أرهب الناس، فتملكهم الزعر والهلع والفزع، إنهما كلمتا - **الصنعة والخيال**-؛ فالإرهاب الهابط الهدام مصنوع من أخيلة الرجال، صنعه بداية الفراعنة، وعلى رأسهم فرعون- المعاصر لنبى الله موسى - عندما أدرك قلة حيلته، وضعف قوته، وأن هزيمته وزوال ملكه كائنة على يد موسى (عليه السلام) فما كان منه إلا أن رمى الحق بالباطل، وجابه المعجزة بالسحر، لينتصر بدينه على دين الله **(قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ)**(٣٦)، سؤال من فرعون تفوح منه بداهة رائحة الاستنكار، لا الاستفهام، لأن خياله المريض صور له الألوهية رداء لا يرتديه إلا هو، ولا يتسع لغيره، فما كان منه إلا أن قال بصورة قاطعة: **(.. أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ)**(٣٧)، ثم أدرك أن الربوبية وصف مرادف لوصف الراعى القائم على أحوال الرعية، فما كان منه إلا أن جمع مع الربوبية الألوهية، فهتف قائلا: **(مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي)**(٣٨)، بهذا الادعاء لن يعترف بعجز حتى لا تسقط ذاته الإلهية فى وحل الاحتياج والعوز والعجز، وحتى لا تسحب منه ربوبيته وقيوميته على قومه، لكنه قاد معركته بتكليف رعاياه واتباعه المخلصين المهرة فى فنون السحر بالزود عنه، إذ قال بلغة تحد لنبى الله موسى **(فَلَنَأْتِيَنَّكَ**

بِسِحْرٍ مِثْلِهِ)[٣٩]، **(فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ)**[٤٠]، وكأن الإلـه الـذى يستدعى هذا القطيع ويحشده للدفاع عن عرشه ليس إلها عاجزا!؟

لقد عجز أن يدفع عن نفسه برهان نبى الله موسى (عليه السلام)، بل إن الأدهـى والأمر أن المدافعين عن هذا الإله المزعوم لم ينزلوا على رغبته فى مواجهـة موسى إلا بعد أن طالبوه صراحة بالأجر، هو فى حقيقة أمره رشـوة، أوثمنـا لسترعجزه من جهة، ولإرهاب الناس وخداعهم بالسحرمن جهة أخرى **(وَجَـاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ – قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِـنَ الْمُقَرَّبِينَ)**[٤١].

لقد نزل على مطلبهم، ومن ثم نجح هؤلاء السحرة بادئ الأمر فى مهمتهم، إذ لم يكتفوا بإرهاب الناس فقط، وإنما أرهبوا وأخافوا نبى الله موسى **(فَـأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ)**[٤٢].

لقد استطاع نبى الله موسى بتأييد من ربه أن يكشف زيفهم، ويبطـل أمـام الناس وهن سحرهم الذى استغل جهلهم بفنونـه، فـصورلهم الخيـال واقعـا، وصورالوهم حقيقة؛ وأما السحرة أنفسهم؛ فقد من الله علـيهم بقولـه: **(فَـأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ)** [٤٣].

هذا الإيمان الذى وقر فى قلوبهم لحظة رؤياهم لعصا نبى الله موسى تنقلب إلى حية تلقف ما صنعوا، لهو وليد العلم المتحكم فى الحكم العقلى الـصادرعلى أسس منطقية، لا وفق أهواء وأمراض نفسية؛ كتلك التى انتابت فرعـون علـى إثرفشل مخططه الأول الداعى لإرهاب الناس، حيث انتقل لمـنهج جديـد فـى الإرهاب، تمثل فى قوله للسحرة الذين أمنوا: **(قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْـلَ أَنْ آذَنَ لَكُـمْ ۖ**

إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ)(٤٤).

فهل بعد هذا الإرهاب من إرهاب؟ الحقيقة نعم؛ إذ لم يقف إرهاب فرعون عند هذا الحد من التهديد، بل ذهب إلى أبعد من ذلك، إلى محاولة قتل موسى، معللا ذلك بأن موسى (عليه السلام) ما جاء بما جاء به إلا لكى يبدل دينهم الذى هو عبادة فرعون بعبادة الله الأحق بالعبادة، وعند فرعون مثل هذا التبديل يعد فعلا إرهابيا، وفسادا ما بعده فساد؛ ولقد ذكر القرآن على لسانه ما يؤكد هذا المعنى، إذ قال تعالى: **(وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ)**(٤٥).

والثابت أن فرعون لم يقف بإرهابه عند حد التهديد بالقول، بل انتقل من الأقوال إلى الأفعال، إذ يقول تعالى: **(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)**(٤٦).

وقوله تعالى: **(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ)**(٤٧).

وإن من أعظم البلاء وأشده أن يصبح نبى الله موسى (عليه السلام) متهما بالإرهاب من قبل فرعون، وفى ذلك دلالة على أن تعاريف الإرهاب ومقاصده توضع وتصاغ وفق رغبات وأهواءعالم الكبار، وهم الذين يمتلكون زمام القوة، وتقودهم الأطماع.

وخلاصة القول: إن مفهوم الإرهاب الهابط إرهاب الهدم الذى قدمته لنا الآيات أقيم على الأسس التالية:

الأساس الأول: تضخم الذات عند الإرهابى فلا يرى إلا- الأنا- أعنى - أناه هو- المتعالى على الجميع، حيث يدور الكل فى فلكه ولا يدور هو فى فلك أحد.

الأساس الثانى: ملكة الخيال المصاحبة لذات المتضخم، هى أكثر تضخما من ذاتها حتى تتمكن من استيعاب الخيالات العظمى اللاواقعية فى عالم اللاواقع الذى ينسجه الإرهابى حول ذاته المتقوقع داخلها.

الأساس الثالث: الفكرة أو الأفكار التى تحوذ اهتمام الإرهابى، هى فكرة أو أفكار مريضة تحفها الظلمة ويكسوها السواد، لتتوافق مع الأساسين- الأول والثانى- ليشكل الجميع معا ثالوثا قدسيا مغلقا تختمر وتصنع فيه كافة مخططات الإرهاب الأسود الهابط الهادف إلى الهدم، وإلى زعزعة الأركان الأساسية التى تعارف عليها المجتمع الإنسانى، وقلبها رأسا على عقب.

الأساس الرابع: إخراج وخروج الفكرة الخيالية المريضة بعد التصنيع إلى جموع البشر- كفكرة نظرية - مصحوبة بالمؤثرات السمعية والبصرية والتوعوية الداعية إلى التحذير من الخطر الداهم المحدق بالناس إن همو كفروا بزعمهم، واستهانوا بنصحهم، ولم يلتزموا أو يلزموا كلامهم؛ وأقصد هنا صناع الإرهاب

الأساس الخامس والأخير: التطبيق العملى للفكرة الإرهابية الهدامة، فإذا أبت عقول الناس قبول منطقهم النظرى فى الترويج والتسويق لمفهومهم الخيالى المريض حو ل الإرهاب، أوقعوا فيهم التفجيروالقتل والصلب والذبح والاغتصاب، حتى يضج الناس ويفزعوا إليهم مبدين الندم لإعراضهم عن النصح، راجين العفو، مستجدين الغوث والعون؛ حينئذ ينجح الإرهاب، ينجح

بمفهومه السابق فى بسط نفوذه على كافة مناحى الحياة، الفكرية، والدينية، والعلمية، والسياسية، والاقتصادية والاجتماعية، والثقافية، والفنية، .....الخ.

المفهوم الاصطلاحى الغرب أمريكى للإرهاب:

لقد جاء فى كتاب – أساطير إرهابية-: إن كلمة- رهب- و- إرهاب- أصبحتا فى العالم الغربى أدوات لفظية تعبر عن الأقوى. أما معناها الوارد فى القاموس فيشير إلى- الترويع- بالاستخدام المنظم للعنف كوسيلة للحكم أو مناوئة حكومة قائمة. لكن الاستخدام الغربى الحالى أعاد بناء المعنى – لأسباب أيديولوجية صرفة – ليصبح العنف المتقطع من جانب خصوم النظام السائد(٤٨).

ويقدم – جيرمايه دنتون- تعريفا للإرهاب مفاده: أن الإرهاب يعنى الاستخدام بعلم للقوة أو العنف ضد أى شخص أو ملكيات، منتهكا القوانين الجنائية... بهدف ترويع أو قهر أو التأثير على حكومة أو شخص تأييدا لأى هدف سياسى أو أيديولوجى(٤٩)، أضف إلى ذلك ما صرح به – بنجامين نتانياهو – فى مؤتمر دولى حول الإرهاب – إذ قال موضحا مفهوم الإرهاب: إن العامل المميز للإرهاب هو القتل والتشويه المتعمد والمنظم للمدنيين والذى يستهدف إشاعة الرعب(٥٠).

وإن تعجب فعجب ما يقول هؤلاء وأمثالهم الذين يقولون مالا يفعلون، لكنهم وبهذا التعريف الاصطلاحى الغربى للإرهاب اتسع مفهومه كما يقول – جارودى-: ليشمل كل أشكال مقاومة الشعوب للدفاع عن نفسها ونيل استقلالها، هذا من جهة – ومن جهة ثانية – استبعد هذا المفهوم كل أشكال إرهاب الدولة الذى يهدد هذا الاستقلال(٥١).

وربما كان السعى وراء المفهوم الغرب أمريكى للإرهاب، يعد سعيا وراء سراب، إذ سنجد أنفسنا أمام طوفان هائل من التعريفات التى تتناقض بعضها

بعضا، لأنها وضعت من قبل القوى العظمى بقصد تحقيق منافع خاصة بهم، فأينما اتجهت المنفعة اتجهت عقولهم نحو تعريف جديد للإرهاب ليخدم وجهتهم الجديدة؛ وحسبنا ما قاله سيدربرج: من يرغب فى إنقاذ مصطلح – الإرهاب – من النقد اللاذع فسيواجه كما كبيرا من التعاريف يؤكد أن السخرية منها أسهل من استخدامها كأدوات للتمييز[٥٢].

الإرهاب بين المفاهيم والغايات:

أنت إرهابى، أنا!؟، نعم أنت، لا بل أنت الإرهابى وليس أنا؛ هكذا تطلق الاتهامات بالإرهاب فى واقعنا المعاصر، تارة بحق، وألف ألف تارة بغير حق، سواء أقدم الدليل والبرهان أم ظل الاتهام فى إطار التراشق والهذيان؛ ترى من سينجح فى إلصاق الاتهام بالآخر بحيث لايجد سبيلا للخلاص منه، سواء أكان الاتهام مدعوما بأدلة قطعية، أو ظنية، أو غير مدعوم بأى دليل؟

الإجابة إذا ما أردنا اختصارها فهى تختصر بالعودة إلى الأسس الخمسة التى تم استخلاصها من الصراع بين نبى الله موسى وفرعون؛ لكن ما كان لنا أن نترك الأمرهنا دون أن نظهر أمام القارئ عشق الغرب وأمريكا للحضارة الفرعونية، ذلك العشق الذى جعلهم أحرص الناس على تطبيق المنهج الفرعونى فى الإرهاب – مفهوما وغاية – تطبيقا عمليا على المسلمين والعرب، بداية من تضخم ذواتهم واتساع ملكة أخيلتهم، ومرورا بالفكرة اللامعقولة فى زمن غيب فيه العقل تغيبا متعمدا، وليس انتهاء بأقوال الكذب والتشهير، ثم القتل والتنكيل والتشريد. ولقد كتب المؤرخ الصهيونى– جون كيمخى– قائلا: فى ذاكرتنا المنتقاة بشكل ملائم، يظل العرب وحدهم هم الذين يمثلون بلاء الإرهاب[٥٣].

فيما يقول آخر: إن هناك سياقا سياسيا هاما يجب أن يفهم الإرهاب فى إطاره إذا ما أردنا أن نكون جادين فى بحثه، .. إن مفاهيم مثل– الإرهاب– و–

الانتقام – تستخدم كمصطلحات دعائية، وليست وصفية، وبشكل حاسم، فإن الهيستريا التى تثار حول بعض أعمال الإرهاب المنتقاة بعناية، وهى تلك التى يقوم بها العرب...إنما تهدف إلى تحقيق أهداف سياسية معينة [٥٤].

ولانملك نحن العرب إلا أن نقول لهؤلاء راجعوا الواقع السياسى لتعلموا أين أنتم وأين نحن، إذ هؤلاء صم، بكم، عمى، فهم يعقلون، هم يعقلون أقوالهم التحريضية ضد العرب والمسلمين، هم يملكون العلم الذى به يحققون غاياتهم، التى لم تقف عند حد وصف العرب بالإرهاب فحسب، بل كان ذلك بمثابة الخطوة الأولى التى أعقبها وصف الدين الإسلامى بما وصفوا به العرب، أنت عربى، فأنت إرهابى؛ أنت مسلم، فأنت إرهابى إنه الوصم بالإرهاب على أساس العقيدة والجنس بالمخالفة لميثاق الأمم المتحدة.وأمامى عشرات المؤلفات والمراجع العلمية – عربية وغربية – زاخرة بما لايحصى من النصوص والتحليلات الساعية إلى ترسيخ وصمنا بالإرهاب ك – جنس ودين– لعل أخطرها كتاب– صراع الحضارات– الذى ترجم ونشر فى مصر تحت عنوان– صدام الحضارات– ولقد اخترت منه هذه النصوص المعبرة عن حالة السعار الغرب أمريكى والصهيوصليبى ضد الإسلام والمسلمين، إذ يقول مؤلفه بداية:

أ– لقد كانت أوروبا تحت تهديد مستمر من الإسلام.. إذ الإسلام هو الحضارة الوحيدة التى جعلت بقاء الغرب موضع شك، وقد فعل ذلك مرتين على الأقل[٥٥].

ب– إن المسلمين يقسمون العالم على نحو تقليدى، إلى دار الإسلام ودار الحرب[٥٦].

ج– الإسلام عقيدة أكثر استبدادية حتى من المسيحية. الإسلام يمزج بين الدين والسياسة، ويضع فاصلا حادا بين أولئك فى دار السلام، وأولئك فى دار الحرب[٥٧].

د- طالما بقى الإسلام إسلاما، أى طالما لم يخرج عن هويتـــه، ولـــم يـــتم تفريغه من محتواه، ولطالما بقى الغرب غربا، فهناك شك فى بقاء هوية الغـــرب واستمرارها[٥٨].

ومن ثم عمد هؤلاء القوم بكل ما أوتوا من قوة على تفريغ الإســـلام مـــن مضمونه، وطمس معالم الهوية الإسلامية، وهذا ما سيتأكد للقارئ بعـــد قليـــل؛ وإن كانت هذه بعض أسباب وصمنا دون غيرنا بالإرهاب؛ فاعلم أن هذا التقسيم الإسلامى للعالم الذى إدعاه – هنتنجتون- يتفق مع رسالة الإسلام، ليس بالقطع رسالة الإسلام المستمدة من تعاليمه الواردة فى الكتاب والسنة، وإنمـــا الرســـالة المستمدة من – صراع الحضارات – ومن صحيفة – أوبزرفـــر- البريطانيـــة، حيث جاء فيها تحت عنوان- من البيت الأبيض إلى هليوود- عـــام ١٩٩٦: إن رسالة الإسلام العالمية هى نشر تعاليم الدين بكل الطرق بما فى ذلك القوة...إنها النظرية السياسية للإسلام[٥٩]، والتى لاأدرى من أين جاء بهـــا هـــؤلاء، وأيـــن أدلتهم على ذلك، والتى تجعل كاتبة مثل الكاتبة الأمريكية – أوريانا فالاتـــشى- تصرخ فى كتابها – الغـــضب والغـــرور- قائلـــة: اســـتيقظوا أيهـــا النـــاس! أفيقوا!..إنكم تجهلون أو تتجاهلون أن حربا صليبية مضادة قد بدأت. إنكم تقفون كالعميان أو كمن ينظر إلى شيءعن قرب فلا يراه علـــى حقيقتـــه، أم أنكـــم لا تريدون أن تدركوا أن حربا دينية آخذة فى الاندلاع.إنها الحرب التى يـــسمونها المسلمون – جهادا-، هذه الحرب هدفها ليس فقط تسخير أرضنا، بـــل تـــسعى بالتأكيد أيضا لاحتلال أرواحنا، تسعى للقضاء على حريتنا، إنهـــا حـــرب تبيـــد حضارتنا وتدمرها، تبيد أسلوبنا فى الحياة والموت، أسلوبنا فى العبادة، أسلوبنا فى الطعام والشراب والملبس، أسلوبنا فى العلم والتعليم والتمتع بمباهج الحياة..

وإذا لم نحارب فسوف ينتصرعلينا هذا الجهاد. نعم سوف ينتصر، وسوف

يدمر العالم الذى بنيناه.. ثقافتنا، فنوننا، علومنا، هويتنا، أخلاقنا، قيمنا، أفراحنا..[٦٠].

وخلاصة هذه الصرخة التى أطلقتها- فالاتشى- أن العالم الغرب أمريكى لا يواجه أمة ذات دين سماوى وحضارة حاضرة، لا كما يقول البعض - حضارة محتضرة-، بل إن هذا العالم يواجه، مجموعة من المرتزقة، من البرابرة، من الهمج..، لذلك ليس مستغربا أن تطالع طائفة من عناوين صحفهم تحمل هذا المعنى من مثل: المسلمون قادمون - الجهاد يتجه نحونا - الوجه القبيح للإسلام - الإسلام يهدد الغرب - انتبهوا- الإرهاب الإسلامى هو فرقة انتحارية عالمية - الحرب المقدسة تتجه نحونا -.

ومن هذه المقالات ذات التأثيرالسلبى القوى على المسلمين ما نشرته صحيفة- التايمزالأمريكية- فى عام ١٩٩٥ حيث جاء فيها: إن المتعصبين المسلمين سعداء مبتهجون عندما يقومون بالقتل، لأنهم يؤمنون بأنهم ذاهبون إلى مكان بعيد أفضل. إلى الجنة[٦١].

وليس خافيا على أحد أن مثل هذه العناوين والأقوال هادفة إلى:

أولا: تعميق جذور الخوف فى قلوب غيرالمسلمين، فيما يعرف باسم- الإسلامو فوبيا- لترسيخ العداء للإسلام والمسلمين عن طريق التهويل فى الأحداث، والإيحاءات النفسية؛

وتهدف ثانيا إلى: استفزاز مشاعر المسلمين المسالمين استفزازا ممنهجا يسعى لتحقيق مآرب خاصة تتضح جليا من خلال ما يأتى.

إرهاب سحرة فرعون:

كيف ولماذا أصبح مفهوم الإرهاب فى العالم الغربى والولايات المتحدة الأمريكية مرادفا للدين الإسلامى؟ وكيف ولماذا أصبح إرهابيو العالم لا أقول من المسلمين، بل كل من إعتنق الإسلام دينا هو عند هؤلاء إرهابى!؟

لقد حملت إلينا الكلمات السابقة بعض ملامح الإجابة، وفى السطور التالية تتضح الصورة كاملة داخل الإطار الذى حددوه لنا؛ وكما يقول الأستاذ فكرى مكرم عبيد- القبطى الملقب بشيخ المحامين-: حرص اليهود فى ذكائهم الشرير، مستخدمين أموالهم وتسلطهم على وسائل الإعلام والدعاية، وحتى ينسى الناس إجرامهم، أن يلصقوا تهمة الإرهاب بالعرب والمسلمين، مستغلين جهل الأمريكان والأوروبيين بحقيقة الأمور... وهى نسبة كاذبة، فعملوا بمهارة الإجرام على أن يتنصلوا من جرائمهم بإلصاقها بسواهم(٦٢).

ورغم أن الكلمات السابقة تصدق على اليهود - قولا وفعلا- إلا أن نسبة الجهل إلى الأمريكان والأوروبيين لا يصدقها الواقع ولا يقبل بها العقل، فغايتهم مقصودة، والمبدأ عندهم هو المبدأ- الميكافيلى - الغاية تبرر الوسيلة - إن العالم الغرب أمريكى والصهيوصليبى يعلم جيدا حقائق الأمر، ربما أكثر مما نعلمها نحن، لا لشئ إلا لأنه الصانع الأول لها، والمستثمر الأول لها أيضا، إن لم يكن المستثمر الأوحد بمشاركة فاعلة من اليهود وأعوانهم فى داخل البلاد وخارجها.

ثم يعقب الرجل بعد ذلك على الآية الواردة فى سورة الأنفال قائلا: يدعونى الاستطراد إلى توضيح معنى حاول أعداء الإسلام أن يفسروه وكأنه دعوة إلى الإرهاب - إذ قال تباركت أسماؤه-: "**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**"- وفسروا كلمة ترهبون بأنها دعوة إلى الإرهاب بالمعنى الحديث. وهذا كذب وافتراء وجهل بأصول اللغة.. فكلمة - ترهبون- لايعنى إعتداء أو عدوانا بل على النقيض من ذلك هى فى واقعها دعوة للسلام.. فقوله تعالى- ترهبون به عدوكم - أى تلقون الخوف فى قلبه حتى يمتنع عن العدوان، إذ الإرهاب هو التخويف- فهى دعوة للمؤمنين أن يكونوا أقوياء ومستعدين، لا للعدوان بل لمنع العدوان(٦٣).

وهذا القصد هو ماتم التعريف به من قبل تحت عنوان – الإرهاب الصاعد – الذى يهدف إلى البناء لا إلى الهدم؛ وتبقى الحقيقة الساطعة سطوع الشمس فى كبد السماء، والتى تقول: إنهم يعلمون ذلك جيدا، وربما كان علمهم به أكثر بكثير من علم بعض المسلمين به كما أكدت سابقا، **وكما قال الإمام الأكبر/ الدكتور أحمد الطيب:** إن المدقق فى الدعاوى المعاصرة التى تطلقها أبواق الاستعمار الجديد لايعيبه أن يكتشف تشابها فى الأهداف والغايات بين دعاوى اليوم ودعاوى الأمس البعيد، وأن السيطرة على الثروات والمواد الخام وحسابات التجارة والأسواق هى أيضا الأهداف العليا والبواعث المحركة فى الهجمة المعاصرة مثلما كانت كذلك فى الهجمات القديمة، وإن كانت هذه المرة تحت لافتة مبتكرة هى لافتة القضاء على الإرهاب وتعقب الإرهابيين والزعم بأن الإرهاب صناعة إسلامية(٦٤).

وهذا التوصيف يقترب كثيرا مما ذكره من قبل الشيخ محمد الغزالى (رحمه الله) من: أن الغرب الصليبى يعد الأمة الإسلامية تركة لاصاحب لها. وهو يتحكم فى علاقتها بدينها، ويرغمها على ترك ما يرى من شرائعه، وإخفاء ما يكره من شعائره.. وهو يعطى لنفسه الحق فى محو الإسلام من أى بلد وتنكيس لوائه فى أى أرض(٦٥).

وربما كان المستشرق الفرنسى لورانس براون أيضا من أكثر المستشرقين المتحدثين تصريحا لا تلميحا عن خطورة العرب والمسلمين إذ كتب يقول: إذا اتحد المسلمون فى إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا داهما، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير، ويجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ليبقوا بلا قوة ولاتأثير(٦٦).

و قريب منه ما أورده- براون – على لسان- أرنولدتوينبى- القائل: إن الوحدة الإسلامية الجامعة نائمة، ومع هذا علنا أن نضع فى حسباننا أن الصحوة النائمة سوف تنهض من سباتها إذ ما نهضت الطبقة العاملة فى العالم ضد سلطة الغرب، وقامت بثورتها عليه وطالبت بزعامة رافضة للغرب ومناهضة له(٦٧).

ولم يقف الأمر بـ أرنولد توينبى- عند هذا الحد، بل إنه يواصل حديثه فى هذا المقام ذاهبا إلى: أن صيحة هذه الثورة يمكن أن يكون لها صدى روحى لا يمكن حسابه فى استثارة الروح العسكرية والقتالية فى الإسلام – حتى وإن كانت هذه الروح قد مرت عليها قرون طويلة وهى فى سباتها العميق، لأن هذه الثورة يمكن أن تعكس خصائص وصفات عصر البطولات والتضحيات، وتكون صدى لذلك العصر. فالتاريخ المؤكد يحدثنا بأن الإسلام كان فى فترتين تاريخيتين بمثابة دافع ومحرك استطاع أن يدفع مجتمعا شرقيا ويحركه لأن ينهض ويقوم منتصرا على معتد غربى(٦٨).

وقد تعجب إذا ما أمعنت النظر فى مقولتى توينبى السابقتين، إذ على الرغم من تحذيره لحدوث صحوة قد تجمع شتات المسلمين وتوحد صفوفهم لمناهضة كافة مظاهرالهيمنة الغرب أمريكية، من قهر واستعباد، إلى احتقار واستعلاء واستيلاء على مقدراتهم، وإن كانت مثل هذه الصحوة أحد أهم الأحلام التى تراود – حقا – كل من هالهم واقع الأمة المتردى، فإن أرنولد يجابه هذا الحق فى الحلم، ويصفه حال تحققه بالثورة الرافضة للغرب، كأننا فى حالة رفض وعداء عنصرى ودينى معه، لافى حالة رفض لسياساته العنصرية القمعية، وهذا ما أقربه أرنولد فى المقولة الثانية عندما وصف الإسلام بالدافع المحرك لمحاربة المعتدى الغربى، أى ليس محركا لمحاربة المسالم الغربى، فحرب

المعتدى ليس إرهابا ولاسبة فى الجبين، وإنما أكدت الشرائع الدينية على وجوبها، وأخذت بهذا الوجوب كافة المعاهدات والمواثيق والأعراف الدولية؛ لكن الرغبة الغرب أمريكية المرتعبة من الذكريات البعيدة للتاريخ الإسلامى تمضى قدما فى مخططها الرامى إلى غرس المزيد من بذور الشقاق والفرقة بين أبناء الأمة الواحدة ليبقى الإسلام والمسلمون سجناء خلف قضبان الضعف والتخلف والفقر والجهل...الخ.

الإرهاب الغرب أمريكى - نماذج وأنماط -:

ليس عصيا على العقول مهما كان حظها من الذكاء، أن تدرك إدراك بداهة وجود صورا متعددة من صورالتخويف البالغ رتبة الإرهاب، سواء أكان ماديا أو معنويا، ربما تبدأ بنظرة عين غاضبة، يتطاير منها الشرر- وفق التعبير الشعبى الشائع على ألسنة كثير من الناس -، أو بإشارة من إصبع فى يد عرف عن صاحبها البطش والتنكيل، أو تترقى رويدا رويدا ليتم التعبير عنها بكلمات حادة قاطعة تصيب سامعها بالهلع، أو ترقى إلى ماهو أعلى من ذلك بانتهاج منهج الجمع بين النظرة والإشارة والكلمة، أوتصل بنا إلى قمة معايشة أحاسيس الفزع والخوف من خلال الحدث الإرهابى الذى يقع وقوعاً فجائياً يقتلع القلوب رعبا من صدور الإنسان والحيوان، وربما اقتلع الأرواح من الأجساد اقتلاعا دون تفرقة بين صغير وكبير، بين الرجال والنساء. وليس خافيا على أحد أن العالم الغرب أمريكى يصدر للعالم كله – على وجه العموم – ولنا – على وجه الخصوص – كرها وطوعا – كل صور الإرهاب السابقة على خلفيات مختلفة، فتارة تأتى على خلفية اقتصادية، لتوضع فى إطار الإرهاب الاقتصادى، وتارة تأتى على خلفية ثقافية فنية، لتوضع فى إطار الإرهاب الثقافى الفنى، وتارة ثالثة على خلفية دينية، فتوضع فى إطارالإرهاب الدينى؛... وهكذا بقية صور

الإرهاب التى يتم ترويجها وفقا لمقتضيات الأحوال الغرب أمريكية، والصهيومسيحية، والتى توجب على مروجيها وضعها فى إطارها المناسب كالإرهاب العسكرى، والإرهاب السياسى، والإرهاب العلمى.. وهلم جر. وإذا كان المقام لايتسع هنا لبحث كل صورة من هذه الصور بحثا تفصيليا، فإنه وإعمالا بالحكمة القائلة: مالايدرك كله لايترك كله، ألقى الضوءعلى بعض من تلك الصور الإرهابية وفقا لم سبق من تقسيم الإرهاب إلى قسمين، أحدهما- إرهاب صاعد، والثانى إرهاب هابط – لنرى إن كانت تهدف إلى – إرهاب البناء – أم إلى – إرهاب الهدم.

أ- الإرهاب الاقتصادى:

يعد المثل الشعبي ترجمة حقيقية مختصرة لواقع الأمم، وأكثر طبقات المجتمعات استخداما لهذه الأمثال هى الطبقات الدنيا، خاصة فى الدول المسماة بالدول النامية والتى منها السواد الأعظم من القارة السمراء – قارة إفريقيا –، والمصريون من أوائل الشعوب التى برعت فى تأليف و صياغة الأمثال الشعبية الموصفة لكافة الجوانب الحياتية، والتى من بينها الجانب الاقتصادى الزاخر بعشرات – إن لم يكن بمئات – الأمثال، نقتبس منها قولهم فى البطالة: اليد البطالة نجسة؛ وفى الإدخار: القرش الأبيض ينتفع به فى اليوم الأسود؛وفى التبذير والإسراف من استكثرعلى نفسه غموسه أكل بقية خبزه حاف؛ وفى بخس الحقوق وسلب الأرزاق: عض قلبى ولاتعض رغيفى.

ومما لاشك فيه أن دلالة هذه الأمثال على ما وضعت له ليست دلالة حصرية خص بها المصريون أنفسهم دن غيرهم من بنى البشر، فلست أجد فى التاريخ أمة يسود شعبها الفرح والسرور– كله أوبعضه – إذا فشت فيه، أو فيهم البطالة؛ فبدون العمل، لازراعة، لاصناعة، لاتجارة، لاعلم ولاتعليم، لابناء،

وقل بالجملة لاحياة؛ فهل بذلك تستقيم الحيــاة، أم تتــداعى أركانهــا، ويمحــى تاريخها، ويطوى إلى أبد الأبدين سجلها؟

الحقيقة أن الأرض وإن اتسعت لحياة بنى البشر جميعا، إلا أن فئة مــنهم، ينتسبون إليهم شكلا، لكنهم جردوا من كل المشاعر الإنسانية، قد أخذوا علــى عاتقهم تقسيم الأرض بما فيها، ومافوقها، تقسيما ما أنزل الله به مــن ســلطان، بموجبه رأينا: أن ٣٥٨ مليارديرا يمتلكون معا ثروة تضاهى مايملكه – ٢,٥ – مليار من سكان المعمورة، أى إنها تضاهى مجموع مايملكــه نــصف ســكان العالم(٦٩).

وعندما تقول نورينا هيرتس فى كتابها السيطرة الصامتة: إن تكوين الثروة الأن أهم من توزيع الثروة (٧٠)، فإن هذه العبارة قد اختصرت وترجمت الواقــع الاقتصادى اللا إنسانى، الذى يتجلى أمام عين القــارئ أكثــر فــأكثر بإضــافة ماذكره ميشيل تشوسودوفيسكى فى كتابه – عولمة الفقــر – مــن زيــادة عــدد المليارديرات فى الولايات المتحدة من ١٣فى عام ١٩٨٢ إلى ١٤٩فــى عــام ١٩٩٦(٧١) إنهم يزدادون غنا ليزداد العالم فقرا، ولا عجــب فــى أن: تتجــاوز الثروة العالمية – لنادى المليارديرات العالمى – الذى يــضم ٤٥٠ عــضوا – كثيرا إجمالى الناتج المحلى المشترك لمجموعة البلدان المنخفضة الــدخل التــى يقطنها ٥٦% من سكان العالم(٧٢)؛ وحتى يتسنى لنا الرؤية الحقيقية لهذه الأرقام وهذه القسمة، التى وإن وصفت بالجائرة، إلا أن الجور نفسه ليــستحى ويتبــرأ منها، دعنا نضع الرقمين متقــابلين فــى فــريقين – الفريــق الأول أصــحاب المليارات وعددهم ٣٥٨ – و– الفريق الثانى وعددهم ٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠.

فلو أن الفريق الأول – على سبيل المثال – يملك ١٠٠٠ دولار ينفق منهــا على أعضائه فإن الفريق الثانى صاحب الرقمين، وأمامهما الأصــفار الثمانيــة

لايملك إلا نفس الرقم ١٠٠٠ دولار لينفق منها على أعـضائه، ولـست أدرى، وأظن أن غيرى كذلك لايدرى، كيف يمكن قسمة هذا الرقم على هذا العدد، وما هو نصيب كل فرد من أفرده، حتى وإن قمنا بتفتيت هذا المـال إلـى ذرات، أو مثقال ذرة، إن المنطق الرياضى ليتداعى أمام هذه المسألة الحـسابية، إذ ممـا لاشك فيه أن ٩٩% من هذا العدد – على أقل تقدير – لن ينالوا شيئا، ومن ثـم يموتون جوعا. وربما كانت التجربة العملية خير برهان على هذا، وكل ما علينا فعله هو وضع الأرقام فى مسألة قسمة حسابية لنرى على الطبيعة نصيب كـل فرد فى الفريقين. الفريق الأول – فريق المليارديرات – ١٠٠٠÷٣٥٨ = ٢,٨
الفريق الثانى – فريق الفقراء – ١٠٠٠÷٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠ =٠,٠٠٠٠٠٠٤
والتعليق الأمثل على هذا الناتج هو وكمـا يقـول المـشتغلون بالرياضـيات – صفر – أى – لاشئ – وهذا يعنى أنه والعدم سواء، إنه الموت المحقـق ذلـة وجوعا لـــ ٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠ بنى أدم. ولايحسبن القـارئ أن هاهنـا مبالغـة وتهويلا، ونسجا على منوال خيال حاقد مريض، فلست أنا صاحب هذا التقـسيم، ولاهذه القسمة، وإنما أنا ناقل عن مصادر علمية، بحـث أصـحابها المـدارس الاقتصادية ونتائجها التى تقود العالم كله إلى حيث تريد، فى زمن سموه زمـن العولمة؛ وقد ذكرت واحدة من عشرات النتائج التى أدت إليها هذه القيادة، وكما يقول جون رالستون: "إن حقبة العولمة دمرت أصقاعا واسعة النطاق فى العالم. وأشد الأرقام إيلاما تقول لنا أولا: إنه بحلول التسعينات، كانت أفقر البلدان تنوء بديون، لم يكن فى طوقها خدمتها إلا بتدمير نفسها؛ وتقول ثانيا: إن هذه الـديون لم يطرأ عليها تغيير حقيقى حتى اليوم، وفى كل الأحوال، فقد تدهورت الأحوال السياسية والاجتماعية، وتم تخفيض البرامج الصحية والتعليمية.[٧٣]

وكيف لاتتدهور أحوال هؤلاء، وقد أصبحوا فى رتبة أقل من رتبة العبيد الذين جلبهم العالم الغرب أمريكى فى العصور الوسطى وعصر النهضة ليصنعوا له نهضة شاملة مكتملة الأركان بقوائمها الثلاث – الزراعية والتعدينية والصناعية –؛ لقد سيق أكثر من ١٠٠ مليون إفريقى كما تساق قطعان الماشية والأغنام، لا إلى المراعى الخضراء، ولكن إلى المذابح المخضبة بالدماء، وقدأكد ذلك عدد من الباحثين الغربيين، منهم على سبيل المثال لاالحصر الدكتور– والتررودنى – الذى قال: لقد نهض الاقتصاد الأمريكى مباشرة، حتى منتصف القرن التاسع عشر، على تجارة خارجية كان الرق محورها.(٧٤)، ويؤكد ذلك فى موضع آخربقوله: إن الاستعمار قد جعل الأفارقة موضوعات للتاريخ. فإن الأفارقة المستعمرين، مثلهم مثل الأفارقة المستعبدين فيما قبل الاستعمار، قد تم دفعهم إلى أوضاع تناسب المصالح الأوروبية وتدمر القارة الإفريقية وشعوبها(٧٥).

ولم لا يدمر الاقتصاد الغرب أمريكى عبيد القارة الإفريقية، وعبيد القارة الأسيوية، وغيرهم ممن هم على شاكلتهم من بقية قارات ودول العالم الأشد فقرا، وفيما يبدوأننا بالنسبة لهؤلاء – ووفقا لتعبير مارتين وشومان – مواطنون فائضون عن الحاجة (٧٦)؛ إننا فائضون عن الحاجة، لاعند هؤلاء فحسب، بل وعند الموالين لهم من بنى جلدتنا، حيث تقول نورينا هيرتس: أظهرت بعض حكومات العالم الثالث استعدادها الفعلى للتضحية بمواطنيها فى سبيل رأس المال الأجنبى الذى كثيرا ما ملأوا به جيوبهم. والظلم الذى مازال يرى فى العالم الثالث يظل مفزعا على الرغم من أنه صار مألوفا(٧٧).

ورغم الفزع، ورغم الرعب والخوف، مازال فى العقل بقية من حالتى الوعى والإدراك يتسائل بهما – قبل أن يفقدهما – من صاحب اليد السوداء

الذى نشر فى العالم الثالث فزاعة الظلم؟ فزاعة الفقر؟ فزاعة الجـوع؟ فزاعـة الجهل والتخلف؟ فزاعة القهر والموت؟

والإجابة تكمن فى الصفحات السابقة، فإن لم تكن تلك الـصفحات كافيـة لتحصيل اليقين عند القارئ، وإن كان الشك يحوم حول تلكم الحقائق، فإن تلـك السطور التى كتبها – جون بيلجر– فى كتابه – حكام العالم الجـدد – لتقطـع الشك باليقين، حيث كتب يقول: يقر البنك الدولى الآن بأن عددا قليلا من الـدول الأكثر فقرا هى التى سيتاح لها بلوغ أهداف تخفيض الفقر مـع عـام ٢٠١٥؛ وبالأحرى، فإن برامج التقويم الهيكلـى القائمـة علـى أسـس الخصخـصة، والاستدانة، وتدمير الخدمات العامة، قد أدت إلى المزيد من الافقار، وكان لهـا الأثر السيئ على نسبة ضخمة من سكان العالم. ففى العالم الأفقر والأقل نمـوا يشر الناس بأنه يجرى الأن نوع من الفرز لتحديد ما إذا كـانوا هـم وأسـرهم سيبقون على قيد الحياة، أم سيتركون ليلاقواحتفهم؛ وهم فى ذلك أشبه بمـصابى الحروب الذين يتم فرزهم لتحديد أيهم يمكن أن يبقى علـى قيـد الحيـاة فيـتم علاجه، وأيهم يعتبر ميؤسا منه فيترك ليموت.(٧٨)

وتنجلى سحابة الشك، ويزداد الأمر يقينا عندما نطالع مقولة – آمرتيا صن – الفائزة بجائزة نوبل فى الاقتصاد: إن الجرى وراء مايعرف بسياسات السوق الحرة وما يتمخض عن ذلك من نتائج يمكن أن يقسم السكان إلى قطبين يـصل التعارض بينهما حدا غير مقبول، حتى إن المجاعات يمكن أن تحـدث مـع أن الصوامع مليئة بالقمح(٧٩).

وكذلك البنوك تمتلأ، لابمليارات المليارات، بل بتريليونات التريليونات مـن اليورو والدولار؛ وإذ كنا بحكم الواقع، وكممثلين عن أربعة أخمـاس العـالم – الفائضين عن الحاجة – فنحن لانجيد لغة عد الأرقام، ومن ثم علينا أن نتابع عد

العادين عندما يقولوا لنا: إن الأرقام معروفة وليست بالأمر الجديد، ولكن مع هذا فإن القوى التى تفرزها العولمة ستنشر، فى زمن قريب، على هذه الأرقام ضواء جديدا مختلفا كليا. هناك ٢٠% من دول العالم هى أكثر الدول ثراء، وتستحوذ على ٨٤,٧% من الناتج الإجمالى للعالم، وعلى ٨٤,٢% من التجارة الدولية، ويمتلك سكانها ٥،٨٥% من مجموع مدخرات العالم. وانطلاقا من عام ١٩٦٠ تضاعفت الهوة بين ذلك الخمس من الدول، الذى يعتبرأغنى الدول، والخمس الذى يعتبر أفقر الدول. وفى الواقع فإن هذه الاحصائيات دليل على فشل مساعدات التنمية التى كانت تبشربالإنصاف والعدالة(٨٠).

لكن التنمية الحقيقية التى حققت نجاحا باهرا هى التنمية السفلى التى أشرنا إليها من قبل، هى تنمية الجيوش الجرارة من قوى التنكيل والقهر والاستغلال، بداية من الاستعباد – المباشر وغير المباشر– والذى يؤدى بدوره إلى الإفقار العمد، وإلى الإذلال بشقيه – المادى والمعنوى – مرورا بالجهل والتجهيل العمد، مع حالة شبه عامة من البطالة، ولتكن النهاية بإزهاق أرواح هؤلاء البشر الفائضين عن الحاجة؛ لقد سرقوامنا التاريخ والحضارة، سرقوا الأرض، جردوها من كل ثرواتها التعدينية كما يجرد الإنسان من ثيابه ليقف عاريا، دونما حائل يحميه أو ساتر يستره، ليطالع الكل عورته، لقد سرقوا العقول – طوعا وكرها – وما عجزواعن سرقته من عقول اجهزواعليها، اغتالوها، اغتالوا الجسد والروح كما اغتالوا العقل من قبل؛ ولتكن النهاية بالموت الذى يضع حدا لحياتنا التى لم نحياها؛ لنمت كما ماتت التنمية، نعم لقد ماتت التنمية التى يمنون بها علينا، والتى لم تنمو أصلا بشهادة رئيس واحدة من أكبر الدول الاستعمارية الأوروبية، والتى يقول فيها: إن لامبالاتنا المخجلة قد تحولت

وصارت لامبالاة مغرورة، لأن كل اهتمام بمساعدات التنمية الاقتصادية قد وهن ومات[٨١].

والآن: هل تحقق اليقين بحقيقة من يدفع العالم دفعا نحوالقنوط واليأس من إقامة أبسط قواعدالعدل الاقتصادى، التى يتحقق بها إقامة أبسط قواعد الحياة، العمل، السكن، الغذاء.

إن فقدان الأمل فى الحياة، يعنى فقدان الرغبة فى استمراريتها، ومن فقد الرغبة فى استمرارية الحياة، هانت عليه، ومن هانت عليه حياته أتراه يأبه لحياة الآخرين !؟.

إنهم فى الوقت الذى يطعمون فيه حيوانتهم الأليفة بمئات الملايين من الدولارات، يموت الملايين من البشر نتيجة الجوع وأمراضه؛ وفى الوقت الذى يتم فيه إلقاء عشرات الألاف من أطنان فضلات غذائهم فى مقالب القمامة، يتم إلقاء عشرات الألاف من جثث بنى آدم فى المقابر الجماعية، وعلى شواهد تلك المقابر دونت عبارة، اغتالوا ويغتالون بها كل أمل فى مستقبل يبدد فيه خوفهم من تفجيرات القنابل العنقودية الإرهابية للجوع، هذه العبارة التى روج لها العالم الغرب أمريكى، والصهيوصليبى تقول: إن المسألة ستكون فى المستقبل هى: إما أن تأكل أو تؤكل[٨٢]. فمن منا الآكل ومن منا المأكول؟

من الذى أخاف الناس وأرهبهم؟ من الذى أرعبهم وأفزعهم باسم اقتصاد السوق المفتوح؟ من الذى استذلهم واستعبدهم وهو يدعى إلغاء الرق فى بلاده، ثم إذا به يستبيحه فى بقية بلدان العالم؟ من الإرهابى الحقيقى الذى جمع بين نوعى الإرهاب السابقين، إرهاب البناء والصعود له عن طريق إرهابنا، وإرهاب الهبوط والتدنى والهدم لنا أيضا، بتخويفنا وإرهابنا وتجويعنا.

بـ الإرهاب الثقافى:

فى عالم الكبار، العالم الغرب أمريكى، أو الصهيوصليبى، لاشـيئ يتـرك للمصادفة، فهم إن أرادوا البناء ذهبوا للعلم، وإن أردوا الهدم ذهبوا للعلـم، وإن أردوا الترفيه والتسلية واللهو ذهبوا للعلم، وما كـان لنـا أن نبـدأ بالإرهـاب الاقتصادى دون قصد ودراية بما يمثله الاقتصاد من قوة تدفع أمامها دفعا الحياة والتاريخ، إما إلى الرفعة والتقدم، وإما إلى التخلف والانحطاط؛ وما منا إلا وهو يعلم أن هذا العالم – الغرب أمريكى – قد جعل من العلم قبلته، ومن كان العلـم قبلته – فى واقعنا المعاصر– فالاقتصاد دينه، ومن كان الاقتصاد دينه فالـذهب كتابه المقدس الذى يتعبد بجمعه واكتنازه آناء الليل وأطراف النهار. ومـا كـان لإرهابهم الاقتصادى أن يحقق مثل هذه النجاحات، دون أن يروج لـه ترويجـا يتواكب مع أليات العصر التى يملكونها بما يملكونه من ذهـب، وثقافتـه التـى يسومونها مجتمع القطيع البشرى – الفائض عن الحاجة –؛ والذى لاشك فيه أن مفهوم الثقافة يتسع اتساعا يجعل من المستحيل معه حـصرها فـى عـدد مـن الموضوعات، واستبعاد موضوعات أخرى، ومن ثم فإن الثقافـة مـن ناحيـة الموضوع تشمل: الاقتصاد والسياسة والدين والآداب والفنون.. وهلم جر؛وفيما يقول عالم الاجتماع الإنجليزى – إدورد تيلور١٨٢٠– ١٩٠٣م –: إن الثقافـة هى: كل مركب يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق، والقـانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانات أوالعادات التى يكتسبها الإنـسان باعتبـاره عضوا فى مجتمع(٨٣)، فإن الدكتور سامى خشبة يرى أن: كلمة – ثقافة – تشير قديما إلى معنى إعدد أداة من مادة خام كى تكون سلاحا فيقال: ثقف الـسيف أى حده وأقامه، أوثقف العود ليكون سهما أو رمحا(٨٤).

وكأنى بهذا المعنى القديم لكلمة الثقافة يـصف الحالـة العالميـة الراهنـة للصراع الثقافى المفرض فرضا على من لايملك قولا ولا فعلا، فكل ما يعنـى

الإنسان فى حياته – ماديا كان أو روحيا – يثقف ليكون أداة لحرب محو الهوية بقهر العقل البشرى – على وجه العموم، والمسلم على وجه لخصوص – وإلباسه طوعا وكرها مسوخا تتناسب مع الدور المنوط به تأديته على المسرح الأروأمريكى الهزلى، والصهيوصليبى السياسى، فى حياة هزلية أشبه ما تكون بالتراجيدا أو الكوميديا السوداء؛ ولم لا وآدم كوبر– ذلك الأنثروبولوجى البريطانى ١٩٤١م – يقول: إن ثمة حرب ثقافية كونية تجرى، إلا أن الغرب لا يضمن تحقيق النصر فيها بشروطه الخاصة(٨٥)، ويضيف كوبر: لم تعد الثقافات الأخرى معزولة عن ثقافتنا الغربية، فلقد قام الغرب مستعينا بالرأسمالية، بنشرأذرعه الأخطبوطية لتبلغ كل شق باق فى العالم، ومع ذلك لم يستسلم مواطنو دول مابعد الاستعماربسباطة لفرض الطابع الغربى الثقافى عليهم(٨٦).

نعم، نحن لم نستسلم لثقافاتهم عندما غزو بلادنا، عندما صوبوا أسلحتهم القاتلة نحو صدورنا نحو رؤوسنا، نحن لم نستسلم تحت وطأة الاستعمار المسلح لثقافاتهم، لكننا استسلمنا لها بعد ذلك، وببساطة، كرها وطوعا؛ طوعا عندما عجزنا عن إنتاج ثقافة حقيقية تعبر عن هويتنا – الإسلامية والعربية – ووقع فى نفوس البعض منا أن التعلم من هؤلاء ونقل ثقافاتهم، والتشبه بهم، ولو وصل الأمر إلى حد الوحدة والاتحاد بهم ربما قادنا إلى التحررمن الجهل والرفعة نحو مصاف عالم الكبار، وتناسى هؤلاء – عمدا أوجهلا – أن مثل هذا التوجه قد قاد الأمة إلى التبعية المذلة، ولقد قال ميشيل توماسيللو – مدير معمل المعرفة البشرية المقارنة بجامعتى كاليفورنيا وسان دييغو –: تعتبر عمليات التعلم الثقافى من أقوى أشكال التعلم الاجتماعى..إذ يبدع الكثير من الأفراد من خلالها وبصورة مشتركة شئ من واقع حقيقى يتمثل فى أن المرء أو الكائن

البشرى مثلما يتعلم عبر أو من خلال آخر، فإنه يتوحد مع هذا الشخص الآخر ومع مقاصده، وأحيانا مع حالاته الذهنية(٨٧).

وليس خافياعلى أحد – ممن لازال يحتفظ ببعض ملامح الهوية الإسلامية والعربية – تلك المقاصد التى وحدتنا مع أرباب ثقافتنا، والتى جعلتنا ومن على شاكلتنا ندور فى فلكهم، إذ على حد قول كوبر: فى عالم حيث كل الثقافات هجين، وجميع الحدود الثقافية مخترقة، لم تعد المفاهيم التقليدية للثقافة ذات معنى فنحن كلنا نسكن عالم أواخرالقرن العشرين الذى يعتمد بعضه على بعض والذى يمتاز بالاقتباس والاستعارة عبرحدود وطنية وثقافية منفذة، مشبعة بالظلم، والقوة والهيمنة(٨٨).

هذا عن ثقافة نهاية القرن العشرين، فماذا عن ثقافة القرن الحادى والعشرين، الذى انهى عقده الأول؟

الحروب الثقافية - ثلاثة + واحد:

إنها الحرب، فى الحروب الاقتصادية تنازع العالم الغرب أمريكى الأسواق، وانتهج كافة المناهج – المباح منها والمحرم – بقصد اجتذاب المستهلك، كذلك الحال فى الحروب الثقافية، على اعتبار أن الثقافة صارت كما يقول مايكل دينينغ – المؤرخ الأمريكى: خاضعة لقواعد الإنتاج الكبير، شأنها شأن سيارات فورد، فأصبحت للكتل الجماهيرية ثقافة، وأصبحت للثقافة كتلة، صارت الثقافة فى كل مكان، ولم تعد ملكية خاصة للمثقفين، أو المتأدبين(٨٩). فإذا كنت من المشتغلين بالثقافة، أو ممن يطلبها للعلم والمعرفة، فسل نفسك: إن كانت الثقافة متواجدة فى كل مكان، ومع ذلك هى ليست مملوكة للمثقفين، فمن ذا الذى يملكها؟وقبل هذا وذاك، من الذى يوجدها متى شاء فى الزمان والمكان؟ ومن الذى يحدد ماهيتها؟.

ربما كانت الإجابة عن هذه التساؤلات قد ذكرت ضمنا فى السطور الماضية، لكن يبقى التأكيد المؤيد بنماذج ثقافية أروأمريكية، مطلبا ضروريا فى ظل ما نعانيه من شروخ وتصدعات فى البنية الأساسية للثقافة الإسلامية – على وجه العموم – والعربية– على وجه الخصوص؛ ولـيكن ماذكره سايمون ديورنغ – الأستاذ فى جامعة ميلبورن بأستراليا – حول أنواع الحروب الثقافية فاتحة هذا المطلب، إذ يقول: هناك حروب ثقافية مختلفة يمكننا أن نميز منها ثلاثة، ترتكز الأولى على مسائل الأخلاق والرقابة، ... وترتكز الثانية على المخاطر التى تشكلها الثقافة التجارية، ... والثالثة ترتكز على التهديد الذى تتضمنه التعددية الثقافية والهجرة.(٩٠)

وقد تراءى لسايمون أن الحروب الثلاثة لاتتضمن أهم الحروب الثقافية التى وقعت منذ قرابة ٧٠٠عام، ولازالت رحاها دائر ة فى العالم كله حتى الآن، إنها حرب الأمركة، والتى يقول عنها سايمون: يمكننا إضافة حربا ثقافية رابعة يجرى خوضها يوميافى كل مكان، خارج الولايات المتحدة الأمريكية، وهى بين الأمركة وأعدائها(٩١).

فإذا ماكان مصطلح الأمركة يعنى فرض نمط الحياة والثقافة الأمريكية على خريطة العالم كله، فهذا يعنى وبالضرورة أن أعداء هذا التوجه بالأمركة قد تخطى المسلمين والعرب إلى غيرهما، وذلك بعد أن فرغ منهما واستقر له المقام بينهما، هذا الغير هوالإتحاد الأوروبى – هذه المرة – وملخص الحكاية أنه: عندما لم يستطع كل من الإتحاد الأوروبى والولايات المتحدة الأمريكية الاتفاق على وجوب معاملة مختلفة للثقافة تميزها عن أشكال الإنتاج الأخرى، هنا كانت القضية المحددة موضوع النزاع تكمن فى رغبة أوروبا فى المحافظة على حصص للبرمجة التلفازية المحلية، لكن القضية الأكبر كانت حق شعوب

معينة بالسيادة الثقافية، فى حماية صناعاتها الثقافية باسم التقاليد الوطنية والتنوع الثقافى العالمى، إن هذه الهموم ناتجة وبشكل أساس عن هيمنة الولايات المتحدة على البث التلفازى، وعلى صادرات الأفلام حول العالم. إذ إن نحو ٧٥% من الصادرات التلفازية عالميا تأتى من الولايات المتحدة الأمريكية.(٩٢)

وعلى نمط الصراخ العربى، وخاصة المصرى باسم الثقافة، ستجد من ينتفض ويصرخ فى وجهك قائلا: وما الضيروالعيب فى ذلك؟ ألسنا نتعلم من هذه الثقافة مالم نتعلمه من غيرها؟

ومثل هذا السؤال ما كان ليتم طرحه بهذه الصورة وهذا الضجيج لولا هيمنة صادرات الأفلام والمسلسلات والبرامج الأمريكية، التى نجحت بدرجة فاقت بكثير درجات الإمتياز، فى اجتذاب المشاهدين من كافة الأعمار والأجناس لها، حتى بلغ بهم الحال حد الهوس فى متابعة وتقليد هذه الأعمال، ومتابعة وتقليد نجومها، ومن ثم لم تتم السيطرة على العقل فقط، بل تمت السيطرة على العقل والدين والأخلاق، فى عملية إبادة جماعية تامة للهوية؛ وفى كتاب – العولمة الفنية وإعادة تشكيل منظومة الثقافة الإسلامية – يقول مؤلفه: لقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب العالمية الثالثة على العالم، على حضارة الشعوب وثقافاتها ومعتقداتها، ووسيلتها فى ذلك تكنولوجيا العلوم والفنون، وإذا كانت الحرب العسكرية تفضى إلى خسائر فادحة فى الأرواح والأموال، فإن الحرب الفكرية والثقافية بواسطة فن التمثيل تفضى إلى الأرباح الطائلة لا فى الأموال فحسب – وفق آليات السوق المفتوح – بل وفى استقطاب العقول والقلوب والأبصار، وخلع عباءة الهوية، والانضواء تحت لواء الأمركة والعولمة(٩٣).

ويصف روجيه جارودى هذا المنتج الفنى الأمريكى الذى يغزو العالم شرقه وغربه، شماله وجنوبه بقوله: لكن ما هو أسوء – حقيقة – فى هذا الواقع، هو تضليل الرأى العام، حيث تطورت تقنيات الإعلام، والتيك أواى الثقافى، لغزو العالم وتحطيم ثقافته، وتقدم ثقافة الكاجوال، ودالاس، ومادونا، وشوازينجر، والديناصورات فى السينما، ودوشنبرج وكونينج فى الفن التشكيلى، والرسوم المتحركة الأمريكية، وفرق الروك و الرولنج ستون، وكل مايجعل شبابنا ينسى ثقافتنا وقيمنا وتراثنا الإنسانى، إن ماكدونالدز والكوكاكولا، وديزنى لاند، وعلب الليل أصبحت رمزوا للعبث والتقليد الأعمى(٩٤).

إنها ثقافة داعرة، ثقافة العرى والجنس، ثقافة كافة فنون القتال والقتل، ثقافة نوافير الدماء التى تندفع من الأوردة والشرايين إلى خارج الجسد لتصنع أنهارا وشلالات من الدماء التى تلتذ برؤياها ماما أمريكا ومهندسو ثقافتها العالمية، بل إن الرؤية البصرية للدماء قد فقدت الكثير من متعتها، فباتت ثقافة أكل لحوم البشر بعضهم بعضا أحياء، وبات مص وشرب دماء البشر من البشر – بعضهم بعضا – ثقافة الواقعية المعاصرة؛ إن مصاصى الدماء – أحفاد دراكولا– ثقافتهم تغزو العالم كله الأن، ليس فناً يعرض على شاشات السينما والتلفاز فحسب، بل إنه الواقع الذى باتت صوره أبلغ من أبلغ الكلمات التى يمكن خطها فوق السطور؛ إنها ثقافة العهر، ثقافة العرى، إذ بات الكل – إلا من رحم ربى – يأكل من شجرة الخلد والملك، لامن أجل الخلود والملك، وإنما من أجل اللذة، من أجل متعة التعرى، وإظهار السوءة، عفوا، لم تعد فى ثقافة العصرسوءة أوعورة، إنها دلالات الذكورة، أودلالات الأنوثة، نظهرها بحسب المعتقد الثقافى الجديد للمتعة البصرية، نظهرها على شاشات التلفاز والسينما، أونظهرها على شواطئ وفى أندية العراة، أوفى الطرقات العامة وشرفات المنازل مع الرقص

على نغمات صاخبة والتراقص بزجاجات الخمروسجائرالحشيش ولفائف البانجو وتذاكرالهيروين، نظهرها إعمالا بقانون التجاذب بين الموجب والسالب، بل وبين الموجب والموجب، وبين السالب والسالب، فى ثورة إنقلابية على قوانين الفيزياء النيوتينية، لصالح قانون الثقافة الأمريكية المعروف باسم – المثلية الجنسية – إذ: من المهم – جدا– أن نميز الثقافة اللانمطية عن حركات التحررالجنسى المتنوعة التى سبقتها والتى تطورت لتصبح الآن "جى إل بي تي" وهى اختصار لـ "مجتمع المثليين والمثليات وثنائيى الجنوسة ومتوليها"، والتى كانت حركة التحرر المثلية أولها، وكان لها أوسع تأثير ثقافى. وإلى جانب الحركة النسوية، كان ظهور الثقافات العلنية للمثليين والمثليات واحدا من أكثر التحولات إدهاشا فى ثقافة أواخر القرن العشرين – أو للتعبيرعن ذلك بطريقة أخرى، إشهار الميول الجنسية المثلية.. حتى أنه وبحلول أواخر التسعينيات، كانت الشخصية المثلية تظهر بشكل حيادى، بل وإيجابى فى الأفلام السائدة والمسلسلات الكوميدية(٩٥).

إنها ثقافة كوكبة من الزهرى والسيلان والإيدز – بعض من الأمراض الناشئة عن الشذوذ الجنسى والممارسات الجنسية بعيدا عن الضوابط الشرعية–، إنها ثقافة تحييد أدنى درجات القيم الخلقية، ثقافة تحطيم وسحق الحياء، إنها ثقافة إيجابية، عند إجراء التحاليل الطبية، خاصة تحليل الدم، إن كان متبقيا منه شيئا يتدفق فى العروق؛ إنها ثقافة المعركة المقدسة، أو بتعبير أصح: معركة الثقافة المقدسة التى تخوض غمارها الولايات المتحدة الأمريكية: فإذا كان الحق عندهم هو ما ينفع، والخيرهو المصلحة – لهم لالغيرهم – إذا لنصوغ ثقافة هادفة نضع تصميمها ونفرضها بكل الوسائل على البشر. إنها معركة مقدسة من أجل رسالة خالدة هدفها تدجين الإنسان وتحقيق المصلحة..إن التصميم المقصود

للثقافة وماينطوى عليه من سيطرة على السلوك هما أمران ضروريان إذا أريد للجنس البشرى أن يستمر فى النمو والتطور. إن المطلوب هو قدر أكبر، وليس قدرا أقل، من السيطرة المقصودة. وهذا فى حد ذاته مشكلة هندسة الثقافة. تلك الهندسة التى تعتمدعلى إنكارالعقل والوعى، وترى أن مانسميه عقلا هو حاوية أفعال منعكسة. وإن بالإمكان تغيير العقل أو التلاعب به عن طريق تكوين أفعال منعكسة شرطية أخرى حسب الطلب(٩٦).

ذلك الطلب الذى لم يعد خافيا على أحد، والذى اصطلح على تسميته ب- "توحيد الثقافات"، إذ توحيد ثقافات العالم فى ثقافة واحدة باستخدام كافة الوسائل والأدوات أحد أهم المطالب التى ترتكزالمطالب السابقة واللاحقة عليه، وكما يقول مايكل أنجلو: إن المتحمسين للعولمة ليسوا جميعا عبيدا شرهين للمنفعة..فكثيرون منهم مقتنعون بحسن نية أن التنازل عن الثقافات - الدنيا- هو ثمن معقول يجب دفعه فى مقابل المساواة والديموقراطية ورفاهية الجميع، فهم يعتقدون أن اندماج العالم بأسره فى ثقافة واحدة كبرى - عليا- سيحرك لامحالة سلسلة من التوابع والنتائج الإيجابية، ويتيح الفرصة الذهبية التى ستحقق أخيرا - الحريات الأربع - الشهيرة لروزفلت: حرية الكلمة، التحررمن الحاجة، حرية العقيدة، التحررمن الخوف(٩٧).

تلكم هى الأكاذيب - والأوهام - الأربع والأشهر لا فى تاريخ روزفلت الرئيس الأمريكى - فحسب - القائل بخلاف ماسبق: أمركة العالم هى مصير وقدر أمتنا (٩٨)، وإنما فى تاريخ الولايات المتحدة كله القائم على سلاسل من الأكاذيب والتضليل الذى لانهاية له، وحسبنا ماقاله شيللر من أن: حرية الاختيار لاتتوافر بأى معنى من المعانى دون التنوع. فإذا لم توجد خيارات واقعية، فإن عملية الاختيار إما أن تصبح بلامعنى وإما أن تصبح منطوية على التضليل،

ويصبح احتمال انطوائها على التضليل واقعا فعليا عندما يصاحبها الـوهم بـأن الاختيارذو معنى. وعلى رغم أنه لايمكن التحقق من حرية هذا الاختيار، فـإن الفرق يتمثل هنا فى أن وهم حرية الاختيار، أكثر انتشارا فى الولايات المتحـدة الأمريكية من أى مكان آخر فى العالم(٩٩).

وتبقى كلمة ختام هذا المبحث من كتاب – العالم المعاصـر والـصراعات الدولية – حيث يقول مؤلفه: إنه إذا كان الاستعمار ظاهرة تاريخية معقدة فـإن الاستعمار الجديد هو من دون منازع أكثر تعقيدا، خصوصا وأنه لايقتصر على أشكال الهيمنة التقليدية ولا يقتصر على الهيمنة الاقتصادية، وإنما يتضمن أيضا أشكالا متنوعة من الهيمنة الثقافية والإعلاميـة والأيديولوجيـة والفكريـة. إن الاستعمارالفكرى والثقافى هو وبلاشك أسوأ أشكال الاستعمار؛ إذ تكمن خطورة هذا الاستعمار فى أنه يقوم بدور ارتكازى فى عقلنة الهيمنة الاقتصادية، وهـو شرط أساسى من شروط ديمومة الاستغلال(١٠٠).

والآن أليس من حقنا أن نسأل من وصمنا بالإرهاب، من يستغل من؟ مـن يضلل من؟ من يفرض ثقافته على من؟ من يسحق ويمحو من الوجـود هويـة من؟ من الذى نشرثقافة التعاطى لكافة أنواع المخدرات؟ من أسلم زمام النفـوس للعنف والقتل تحت مسمى الفن تارة؛ وغيب العقول باسم ثقافة الترفيه والـوهم ألف ألف تارة؟ من دمر القيم والأخلاق الإنسانية؟ من نـشر فوضـى الجـنس والإباحية التى تستحي منها كافة الأنواع الحيوانية؟ من أخاف العقول وأرهبهـا وصادرحقها فى خصوصية الثقافة والفكر؟ من يقـود الإنـسانية بعقـل واحـد نحوالهاوية؟ نحن أم أنتم؟ أنتم أم نحن؟؟؟

ج ـ الإرهاب الدينى:

لا أحد باستطاعته، مهما كان معتقده القدرة على إنكارأحد جناحى الـدين، جناح العقيدة، وجناح الشريعة. فإذا كانت العقيدة أساسا للشريعة، فالشريعة لازمة للعقيدة. وكما يقول الإمام الأكبر – الدكتور محمود شلتوت–: إن العقيدة فى الوضع الإسلامى هى الأصل الذى تبنى عليه الشريعة، والشريعة أثر تستتبعه العقيدة، ومن ثم فلا وجود للشريعة فى الإسلام إلا بوجود العقيدة، كما لا ازدهار للشريعة إلا فى ظل العقيدة، ذلك أن الشريعة بدون العقيدة علو ليس له أساس، فهى لا تستند إلى تلك القوة المعنوية التى توحى باحترام الشريعة، ومراعاة قوانينها والعمل بموجبها دون حاجة إلى معونة أى قوة من خارج النفس..إذ الإسلام يحتم تعانق الشريعة والعقيدة بحيث لاتتفرد إحداهماعن الأخرى، على أن تكون العقيدة أصل يدفع إلى الشريعة، والشريعة تلبية لانفعال القلب بالعقيدة ..وعليه فمن آمن بالعقيدة وألغى الشريعة، أو أخذ بالشريعة وأهدرالعقيدة، لايكون مسلما عند الله(١٠١).

وما من عقيدة وشريعة إلا ويحملا فى طياتهما ترغيبا وترهيبا لأتباعهم، فاليهودية بها جانبى الترغيب والترهيب، ينتشران فى جنبات العهد القديم– التوراة–، فهل وجود جانب الترهيب فى الدين اليهودى يعنى بالضرورة أن اليهودية دين إرهاب؟ كما يعنى أن كل من يعتنق هذا الدين هو بالضرورة إرهابى؟.

والحال كذلك فى النصرانية، ففى العهد الجديد – الأناجيل الأربعة و أعمال الرسل– ينتشر الترغيب والترهيب فى أسفارهم وبين ثنايا صفحاتهم، فهل وجود الترهيب فى الدين النصرانى يعنى بالضرورة أنه دين إرهاب، وأن معتنقى هذا الدين إرهابيون؟

إن كانت الإجابة عما سبق هى النفى، فلماذا إصراركم على وصم الدين الإسلامى بالإرهاب، وكذلك وصم اتباعه؟ ألمجرد وجود آيات ترهيب فى القرآن الكريم؟ قد بينا مفهومها والغاية منها فيما سبق؛ فإ ن كان الأمر كذلك، فما وصفتم به الإسلام والمسلمين من إرهاب ينسحب بالضرورة عليكم.

ولقد ذكر الكواكبى فى كتابه – طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد– ما يمكن البرهنة به على صدق ما سبق، إذ قال: لما كانت أكثر الديانات مؤسسة على مبدأى الخير والشر كالنور والظلام والشمس وزحل، والعقل والشيطان، رأت بعض الأمم الغابرة أن أضر شئ على الإنسان هو الجهل، وأضر آثار الجهل هو الخوف، فعملت هيكلا مخصصا للخوف يعبد اتقاء شره[١٠٢].

وفى هذا القول دلالة على أن الترهيب أوالتخويف وما ينتاب البشر من حالات الخوف و الفزع ليس حكراعلى دين دون أخر، كما وأنه ليس حكرا على الدين الإسلامى.وقد أكدت الأحداث الإرهابية الكبرى على مستوى العالم أن الإرهاب والإرهابيين لاينتمون إلى معتقد واحد، بمعنى أن الإرهابى قد ينتمى إلى اليهودية أو إلى النصرانية أوإلى الإسلام، وإلى غير ذلك من الأديان الوضعية، كالهندوسية والبوذية.

ويبقى السؤال قائما: هل من إرهابى يدعوه دينه دعوة صريحة إلى استعباد الخلائق، وسلب أرزاقهم، ونهب ممتلكاتهم، وتضليل عقولهم، وهتك أعراضهم، وترويع الآمنيين المسالمين، وسفك الدماء، وقتل الأبرياء؟ أم إن الإرهاب انحراف نفسى فى الفكروالسلوك ينشئ عن عدد من العوامل الداخلية والخارجية؟

والإجابة عن هذا السؤال تكمن فى الإرادة العقلية المتجهة بعزم واصرارنحو فهم حقيقى لنصوص الكتب المقدسة بحسب ورود النص فى

سياقه، لا أن ينتزع النص من سياقه ثم نعمل العقل فيه بالتأويل تارة، والتحريف تارة أخرى، كما فعل أدعياء العدالة والانصاف من المنتسبين إلى العالم الغرب أمريكى فى الآيات القرآنية التى ذكرفيها كلمة – الإرهاب –. وإذ بينا بطلان ادعائاتهم من قبل، فقد آن الأوان للنظر فيما ورد فى كتبهم المقدسة لنظهرأمام راغبى الحق وطلابه، إن كانت النصوص الواردة فيها – فيما يختص بمفهوم الإرهاب – قد تجاوزت الإرهاب الذى أطلقنا عليه من قبل اسم – الإرهاب الصاعد – أو إرهاب البناء –، إلى الإرهاب الهابط – وهو ما أسميناه أيضا بـ إرهاب الهدم –.

ولعل ذاكرة القارئ لم يغادرها مفهوم وغاية الإرهاب الاقتصادى الذى تبناه العالم الغرب أمريكى والصهيوصليبى، إذ مما يعجز العقل عن تصديقه أواستيعابه أن يصبح هذا الإرهاب باسم الدين، باسم إله المسيحيين، يقال لنا إن افقار الناس وتجويعهم يخضع لأوامر الله ومشيئته، ويستدل على ذلك بماجاء فى إنجيل – متى، كل من لديه، سنزيده، حتى يصبح لديه وفرا، وسنأخذ ممن يفتقرون حتى الذى بين أيديهم. "متى ٢٥/٢٨، ٢٩". وهى آية مطبقة تطبيقا صارما على عالمنا، وقد بينت ذلك فى الحديث عن الإرهاب الاقتصادى.وحول هذه الأية يقول والترودنى: إن التخلف بمثابة تناقض بالفعل.. وحينما يحاول الرأسماليون من الأجزاء المتقدمة من العالم أن يفسروا هذا التناقض، فغالبا مايجعلون الموقف يبدو وكأنه من وضع السماء.. وشعارهم المرفوع، لقد قيل كل شئ فى الإنجيل، .. وإن قصة – ممن يفتقرون – الواردة فى الأية – هى قصة البلدان المتخلفة المعاصرة، ومن المفترض أن التعليق الوحيد الذى ينتظر أن يصدر عن المرء هو أن يقول – آمين –. ويتم التشديد على القول بأن التخلف هو بشكل ما قدر من عند الله [١٠٣].

غير أن قدر – إله – هؤلاء دائما ماتجد خيره لهم، ويصعد بهم، وشره لنا، ويهبط بنا، وماعلينا إلا الطاعة، إذ وفقا لرسالة بولس إلى أفسس: أيها العبيد، أطيعوا سادتكم البشريين بخوف وارتعاد، من قلب صادق، كمن يطيع المسيح. "أفسس ٦". وبما أنهم استعبدونا، واسترهبونا، اقتصاديا وثقافيا، إذا فالخوف والارتعاد هما أقل ما يجب أن يشعر به العبيد فى حضرة الأسياد، وإلا فإن المصير المنتظر أعظم من أن يتصوره العقل إذا ماتمرد وشق عصا الطاعة؛ ففى رسالة بولس إلى تيطس – وعلم العبيد أن يكونوا خاضعين لسادتهم مرضين لهم فى كل شئ غير معاندين. "تيطس٩: ٢".

فإن كان ذلك بعضا من نصوص الإرهاب الإنجيلى، فما بالنا بنصوص الإرهاب التوراتى؛ إقرأ إن شئت ماجاء فى سفرتثنية: حين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها إلى الصلح. فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك. وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها. وإذا دفعها الرب إلهاك إلى يديك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التى أعطاك الرب إلهك.هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا. وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما"١٧: ١١".

إنها دعوة صريحة لإراقة الدماء، دعوة صريحة للقتل، للإبادة الجماعية لحفنة من بنى البشرما خلقهم الله إلا لخدمة أتباع التوراة، خدمة شعب الله الختار، بنى إسرائيل.

ولايحسبن القارئ أن هذا أقصى مايحمل النص التوراتى من دموية وإرهاب، فالنص مع كل مافيه لايعدو كونه قاعدة ارتكاز تنطلق منها نصوص

أخرى داعية إلى المزيد من القتل وسفك الدماء؛ فالرب التوراتى يقول للتوراتيين: وأما الدم فلا تأكله ولكن على الأرض تسفكه كالماء. "تثنية ١٢، ١٧/١٣، ٢٤"، ولايكتفى بسفك الدماء التى لاتروى ظمأ هؤلاء القوم أبدا، بل كلما ازدادوا سفكا للدماء كلما ازدادوا ظمأ، وازدادوا جوعا، وما على الجائع إلا أن يطيع أمر ربه الذى يقول له: تأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك. لا تشفق عيناك عليهم"تثنية ١٧/٧"، لاترحمهم [١٠٤].

فهل من نزعت منه الشفقة والرحمة انتزاعا بأمر من ربه، أتراه يفزع من الدم والقتل، أم تراه ينتشى كلما تدفقت الدماء أنهارا، وتناثرت حوله جثث وأشلاء الموتى؟ إنه عين الأثر الذى يتركه الإرهاب أينما حل، وحيثما ارتحل.

وتبقى الغاية التى تصبو إلى تحقيقها نصوص الإرهاب التوراتية متمثلة فى قول الرب التوراتى: يطرد الرب جميع هؤلاء الشعوب من أمامكم فترثون شعوبا أكبر وأعظم منكم. كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم. من البرية ولبنان. من النهر نهر الفرات إلى البحر الغربى يكون تخمكم. لايقف إنسان فى وجهكم. الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التى تدوسونها "تثنية١١/٢٤، ٢٥". تلك الخشية وذلك الرعب الناشئين عن افتعال حروب عدة، فى كافة أنحاء المعمورة منها الاقتصادية والثقافية والعسكرية، والتى تسحق رحاها البشرسحقا، كما أوصت نصوص التوراة السابقة، وكما جاء فى تعاليم التلمود: قبل أن تحكم اليهود نهائيا باقى الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ليهلك ثلثا العالم[١٠٥].

فإذا ما أضيف إلى هذا النص التلمودى سؤال أندريه بييتر – أستاذ الحقوق الفرنسى – والذى يقول فيه: هل يحق لنا إبادة البشرية لإنقاذ المسيحية؟ [١٠٦].

وما كان لهذا السؤال أن يطرح بهذه الكيفية لولا المقدمات التى أفسحت لـــه الطريق على مصرعيه، تلك المقدمات المتمثلة فى حروب قادها العالم الغـــرب أمريكى، والصهيوصليبى، والتى من بينها على سبيل المثال لا الحـــصرالحروب المسماة بالحروب الصليبية، – خمس حملات بداية من عـــام ١٠٩٥– ١٢١٣– وعنها يقول تايلور: كانت الحروب الصليبية حربا مقدسة، أفتى بها البابا باســـم المسيح، وبذلك فقد كانت عنفا مشروعا أومبررا(١٠٧).

وقد أرجع المؤرخون المحدثون أسباب الحملة الصليبية الأولى إلى تزايـــد السكان فى الغرب، وجهود الكنيسة لمنـــع الحـــروب المحليـــة بـــين الـــشعوب المسيحية، إضافة إلى الأسباب الاقتصادية. ومن المؤكد – كما يقول – تايلور– أن الكنيسة كانت حريصة على إقناع طبقة الفرسان بتحويل طاقاتهـــا العدوانيـــة وتوجيهها ضد غير المسيحيين، وليحصل على جائزة الخلود الأبدى أولئك الذين كانوا جنودا مرتزقة لقاء قروش زهيدة وعلى هذا فإنه يمكن النظر إلى الحملات الصليبية باعتبارها – حجا مسلحا (١٠٨).

وآه وألف ألف آه، لوأن مثل هذه النصوص وهذه التعاليم عثرعلى مثيلاتها فى آيات القرآن، أو فى تفسيره، أو فى الأحاديث النبوية، أوعثروا فيهما علـــى مصطلح مثل مصطلح "الحج المسلح"، لكان تعاليهم وتبجحهم الـــسافر، ورمـــى الأمة الإسلامية فى مجملها بالإرهاب والتخلف أضعاف أضعاف ما نعانيه منهم اليوم. لقد قامت الحروب الصليبية المقدسة لا لدفع اعتداء، وإنما اعتداء من أجل الاعتداء والمنفعة؛ وكما تساءل أندريه بييتر قبل قليل نتساءل معـــه الآن: هـــل على اليهود والنصارى أن يبيدوا سكان المعمورة إنقاذا لليهوديـــة وللمـــسيحية، ولكى يعيشوا هم أمبراطورية الرفاة دون تطفل أومزاحمة من أحد؟ حتـــى ولـــو كان هذا الأحد المزاحم – وفق كتبهم المقدسة وشروحها – أحط مـــن الدرجـــة

الإنسانية، إنه عندهم حيوان على شكل إنسان، ليسهل على شعب الله المختار اعتلاء ظهره. لقد أجاب أندريه على سؤاله السابق بقوله: إن هذه هى المسألة الأساسية التى سنواجهها فى نهاية الأمر(١٠٩).

ويبدو من الإجابة أن صاحب السؤال يتحايل بعدم ذكرالحقيقة التى تقول: لقد واجهوها بالفعل، ومازالوا يواجهونها، واجهوها بنيران حروبهم المقدسة و المستعرة منذ العصور الوسطى وحتى الآن، واجهوها بعشرات الملايين من القتلى، إن لم يكن مئات الملايين، بعضهم فى الحروب الصليبية، وبعضهم فى محاكم التفتيش وبعضهم فى الحربين العالميتين، الأولى: ١٩١٤- ١٩١٧، والثانية: ١٩٣٣- ١٩٤٥، واستخدام القنابل النووية لأول مرة فى التاريخ الإنسانى من خلال إلقاء قنبلتين، إحداهما على هيروشيما، والثانية على نجازاكى، هدفتا إلى إفناء الشعب اليابانى عن بكرة أبيه؛ وقد خلفت وراءها هذه الحرب قرابة ال- ١٥٠ مليونا من القتلى، حيث: كلفت تلك الحرب ألمانيا أكثر من سبعة ملايين ونصف المليون من القتلى، نصفهم من المدنيين، وروسيا أكثرمن سبعةعشرمليونا بينهم عشرة ملايين مدنى، وانجلترا وفرنسا مليون قتيل، بينهم ٤٥٠ ألف مدنى، والولايات المتحدة الأمريكية ٢٨٠ ألف جندى(١١٠).

وباقى أعداد القتلى موزع بين الدول التى شاركت فى هذه الحرب طوعا وكرها. غير أن إحصاء القتلى لاقيمة له تذكر الآن، لا لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة فحسب - وفق المبدأ الميكافلى - ولكن لأن الموت، أوإن شئت دقة القول فقل - القتل - لازال وسيظل؛ ففى البوسنة والهرسك، كان القتل للمسلمين، كانت حروب التطهيرالعرقى التى حصدت أرواح أكثر من ٣٠٠٠٠٠ ألف مسلم معظمهم من النساء والأطفال، فضلا عن طرد وتشريد

أكثر من ثلاثة ملايين مسلم؛ وقد قالت جريدة – الفانيشال تايمز الإنجليزية – فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٩٢/٦/١٠: إن مايحدث فى البوسنة والهرسك أسوأ نكسة للإسلام والمسلمين من دول البلقان، منذ طرد العثمانيون من هناك(١١١)؛ وقد أكدت جريدة – الصانداى تلجراف – ما تعرض له المسلمون من إبادة جماعية على يد الصرب الأرثوذكس بقولها: إن المسلمين فى البوسنة والهرسك يتعرضون لحملة منظمة للإبادة والإرهاب والتهجير(١١٢).

إن صور الإرهاب الصربى الذى شهده العالم كله لم تقف عند حد القتل، بل إن الاغتصاب وممارسة أبشع أنواع التعذيب جرى بصورة ممنهجة، إذ جاء فى جريدة – النيويورك تايمز– الصادرة بتاريخ ١٩٩٢/١٠/٣: إن ما يحدث للنساء والفتيات المسلمات فى البوسنة لامثيل له فى تاريخ الحروب، إن النساء يغتصبن من الجنود الصرب بطريقة منظمة ومخططة لإبادة شعب البوسنة بالكامل، وتدمير ثقافته، وتقاليده، وكيان المجتمع.. وقد أعلنت وزارة الداخلية فى البوسنة أن خمسين ألف امرأة وبنت جرى اغتصابهن وتعمد المغتصبون أن يحملن منهم(١١٣).

كل ذلك تحت شعارالحرب المقدسة ضد الإسلام والمسلمين، من أجل استئصالهم ومحو ذكرهم – القرآن – ومحو ذكراهم من الوجود.

وفى العراق، حدث ولا حرج عن الحصار والحرب التى شنتها الولايات المتحدة الأمريكية – بعد أحداث الحادى عشرالإرهابية– والتى أطلق عليها بوش الثانى اسم – الحرب الصليبية الثانية – فقتل فى العراق أكثر من مليون مسلم ومسلمة، وشرد أكثر من أربعة ملايين نسمة، إضافة إلى ٥٠٠ ألف طفل عراقى قتلوهم جراء الجوع والمرض، فى زمن الحصار الاقتصادى الذى ضربوه حول العراق؛ وما أحداث وصور سجن أبوغريب التى شاهدها العالم

كله، عن ذاكرتنا ببعيدة، اغتصاب وهتك أعراض الرجال والنساء، وقهر وإذلال، والتجويع العمد مع سرقة ثروات الدولة وآثارها، وخاصة الذهب الأسود – النفط – وحدث ولا حرج أيضا عن آلات القتل التى لاتتوقف ساعة من ليل أونهار، تحصد أرواح أبناء فلسطين منذ عام ١٩٤٨م، لاتفرق بين مسلح وأعزل، بين صغيروكبير، بين رجل وامرأة، حتى الشيوخ القواعد الركع، والأطفال الرضع، لم يستثن القتل أحدا، ولم الاستثناء والقتل هنا وهناك قتل مقدس بأوامر إلهية وفق العقيدة الصهيوصليبية. وهذا ما عبر عنه الصحفى الإسرائيلى آرى شافيت بعد مذبحة قانا الشهيرة، والتى راح ضحيتها ١٧٠ نفسا أزهقت فى لحظة بغير ذنب، إذ كتب يقول: لقد قتلنا ١٧٠شخصا بعضهم كانوا من النساء والشيوخ، وكان من ضمنهم طفل عمره عامين، لقد حرصنا على قتلهم، لقد قتلناهم لأن هناك فجوة تفصل بين سمة القداسة التى نضفيها على حياتنا أكثرفأكثر، وننكرها على الآخرين أكثر فأكثر، وهذا هو ما سمح لنا بقتلهم[١١٤].

وإياك أن تقول هذا قول صحفى، فلسان حال هؤلاء هو لسان قادتهم سياسيا ودينيا، إنه لاهوت السيطرة، ذلك اللاهوت الذى أسسه بولس الرسول تحت اسم المسيحية[١١٥]، التى تعانقت اليوم مع الصهيونية، ليصبح المذهب جامعا بين قطبى العالم – الصليب ونجمة داود – وما أشبههما بحجرى الرحى، وشعوب العالم الغير منتمى إليهما همو الحب الذى يطحن لحمه بعظمه، دون دقيق.

ولقد ظل مشهد الاستيلاء على بيزيير فى يوليو١٢٠٩م، مضرب الأمثال لإرهاب القوم، فقد سأل قادة الصليبيين كيف يمكنهم أن يتعرفوا فى المدينة المفتوحة على الكاثوليك الصالحين، ويميزوهم عن الزنادقة، فأجاب أرنولدأمورى مندوب البابا الذى كان يصاحب القائد العسكرى سيمون دى

مونفورت كمستشار روحى، وكان أرنولد كبير دير، ومتعصبا: أقتلوهم جميعا، والرب سيتعرف أهله![١١٦].

وقد أرسل قداسته تقريره إلى البابا بعد نهاية المعركة: لقد تم الاستيلاء على بيزيير، ونظرا إلى أن جنودنا لم ينظروا لا إلى جاه، ولا إلى جنس، ولا إلى عمر، فقد مات قرابة عشرين ألفا بحد السيف. هكذا جرت مذبحة عظيمة للرجال، وتم نهب المدينة، وحرقها، وبهذه الطريقة نزل بها العقاب الإلهى المذهل[١١٧].

إنه ذلك العقاب الذى ينزله الله على طائفة من البشر، هم وفقا للديانة والعقيدة التوراتية، حيوانات من نسل حيوانات، خلقواعلى شاكلة البشرمدنسين بالخطيئة، لخدمة أسياد العالم، لخدمة أبناء الرب وأحبائه، إنهم عبيد، إذا ما تطلع منهم أحد إلى مكانة غيرالتى حددت له سلفا، أوإذا راودته نفسه القيام بمحاولة تمرد، هنالك يسلط الله عليه يده الباطشة المتمثلة فى الدول الغرب أمريكية، والصهيوصليبية

إرهاب الازدراء الدينى:

إن هذه النظرة الدونية لكل من لاينتمى لهذا العالم – الغرب أمريكى والصهيوصليبى – على وجه العموم، والإسلام والمسلمين ومن يمت إليهم بصلة على وجه الخصوص، لم تكتف باستباحة دمائهم وأعراضهم وأموالهم، لم تكتف بقهر عقولهم وطمس معالم حضارتهم وثقافاتهم، لم تكتف بسحق القومية ومحاولة القضاء بالكلية على عقيدتهم الدينية من خلال حروب التطهير العرقى تارة، والتبشير القائم على قدم وساق فى كل بقعة من بقاع الأرض تارة أخرى، منتهجا فى سبيل تحقيق غايته مناهج عدة منها الترغيب والترهيب والازدراء؛ وإذا كان بعض المعنيين بتتبع هذا العداء وهذه الكراهية الغرب أمريكية،

والصهيوصليبية للإسلام والمسلمين قد اكتفى بترديد مصطلح – الإسلام فوبيا – الموصف لهذه الحالة، فليعلم الجميع أن الأمر قد فاق كل مصطلحات الكراهية والعداء مجتمعة، إلى درجة يمكن لكل ذى بصر أن يقارن معها حالة الفزع والرعب النووى التى ينشرونها ويرهبون بها العالم كله، بحالة الفزع والرعب من الدين الإسلام إذا ماقدر له الانتشار أكثر فأكثرفى ربوع القارة العجوز– أوروبا – ثم أمريكا؛ ومن ثم ذهبوا كل مذهب يمكن من خلاله ضرب هذا الدين، ووقف زحفه نحو شعوبهم التى عبأت بثقافة العداء الدينى، إلى الدرجة التى يصبح معها الازدراء للدين بكل مقدساته، بما فى ذلك مقام النبوة أحد أهم وسائل ثقافة المقاومة لم أطلقوا عليه اسم – الغزو أو الزحف الإسلامى –.

وانطلاقا من هذا الفهم يتضح لنا بجلاء تام أن النيل من نبى الإسلام محمد (ﷺ) كان أحد أهم أسلحة معارضيه وراهبيه فى كل زمان ومكان، رغم أن المعارضين قبل المؤيدين، على علم ودراية يقينية بما جاء به محمد، فلقد جاء (ﷺ) بالإسلام، فى ظل وجود اليهودية والنصرانية، بعث وجاء بالإيمان فى مواجهة سطوة الوثنية والكفر، بعث وجاء بالحق فى مواجهة سطوة الباطل، بعث وجاء بالنور فى مواجهة عتمة الظلام، لقد جاء بالعدل فى مواجهة بطش الظلم، جاء بالرحمة فى مواجهة كافة فنون القسوة، جاء باللين فى مواجهة الشدة والغلظة، جاء بالسلام فى مواجهة الحرب والعدوان، جاء بالتواضع فى مواجهة الكبر والتكبروالتجبر؛ محمد– بن عبد الله – جاء يحمل الأمانة فى مواجهة الخيانة، جاء بالصدق لمواجهة الافتراء والكذب، جاء بالوحدة والاتحاد لمجابهة الفرقة والتشرذم، جاء بالمساواة بين بنى البشر ليضع حدا للتعالى والتفاخر بالأنساب والأعراق وليقضى على العنصرية، جاء بجماع قوى الخير فى مواجهة جماع قوى الشر؛ فإذا به يوصف بصفات لا أصل لها– من قبل

مخالفيه القدماء، ثم المعاصرين – صفات تخالف الواقع، بل وتناقضه كله؛ وقد ذكر القرآن الكريم جملة هذه الصفات التى وصفوه بها (ﷺ)، وردها على أصحابها ردا يليق بمقام الرسالة والنبوة؛ إلا أننا وبعد أكثر من ١٤٠٠ عام نجد العالم الغرب أمريكى يسير على نهج مشركى مكة، مستعينا بأدوات عصره، ساعيا بكل ما أوتى من قوة إلى النيل من نبى الإسلام، تارة عن طريق وصمه بالإرهابى الأكبر، وتارة عن طريق الرسوم الكاريكاتورية المسيئة؛ والأخيرة كما يقول الدكتور اللاوندى: إن الرسوم الكاريكاتورية المشئومة هى التى كشفت جذور ومخاطر ظاهرة الإسلاموفوبيا التى فجرتها الصحف الدانماركية عندما نشرت ١٢ رسما كاريكاتوريا للنبى محمد (ﷺ) فى سبتمبر٢٠٠٥، وأعادت نشرها صحيفة نرويجية فى ١٠ يناير ٢٠٠٦، وفعلت الشئ نفسه صحيفة فرانس سوار الفرنسية، وبعض الصحف الأوروبية الأخرى والتى أشعلت حريقا احتجاجيا امتدت ألسنته إلى أماكن كثيرة فى العالم الإسلامى وخارجه(١١٨).

وفى خطوة تعد وبحق تحريضا إضافيا ضد مشاعر المسلمين، أقدمت صحيفة جيروساليم بوست الإسرائيلية على إعادة نشر الصور التى أشعلت الغضب مدرجة إياها فى سياق أعمال عنف.وتحت شعار– حرية التعبير فى السويد أقدس من الدين –، أطلقت صحيفة سويدية مسابقة لأفضل رسم كاريكاتورى يتناول الرسول (ﷺ)(١١٩).

ومما يزيد الأمر اشتعالا ويؤكد على أن المنهج الغرب أمريكى، والصهيوصليبى يعملان على إزكاء نارالحقد والكراهية، ويستثيران عمدا غضب المسلمين عندما ينالان من دينهم ومن عقيدتهم ومن شريعتهم ومن نبيهم، ويسعيان سعيا دأوبا لتسفيه كل مقدساتهم، معللان ذلك بحرية الرأى، كما فعلت الصحف الفرنسية من إعادة نشر الرسوم المسيئة، وأعلنت أنها لن تعتذر

للمسلمين عن ذلك مبررة موقفها بأن حرية الرأى والتفكير والاعتقاد مكفولة للجميع، وأن لها الحق فى أن ترسم من تشاء من الأنبياء..ثم تعمدت اتهام المسلمين بضيق الأفق وعدم التسامح، لأنهم يعتبرون هذه الرسوم إهانة للإسلام، علما بأن بعض هذه الرسوم ظريف ولطيف(١٢٠).

هذا اللطف وهذا الظراف لايكونان إلا عندما يتعلق الأمر بالسخرية من العرب والمسلمين، فتنتهك حرماتهم، وتدنس مقدساتهم، بزعم حرية الرأى والابداع، أما إذا تعلق الأمر بغير المسلمين، فعندئذ تسحق حرية الرأى تحت نعالهم، ويغتال الإبداع، ويصبح الأمر جدا، لاهزلا، ازدراء، لا لطفا وظرفا، وليس أدل على هذا من قانون معاداة السامية، الذى يحظرعلى كل دول العالم تناول اليهود بالنقد أو الإدانة، أوحتى اللوم مهما ارتكبوا من عظائم الأمور التى يندى لها جبين الإنسانية، وقد سبق الإشارة إلى هذا القانون الذى لاتجد له مثيلا فى العالم إلا لأجل الصهاينة أبناء الرب. وفيما يقول مؤلفا كتاب – رسوم شيطانية –: لقد وصل الغرب إلى مرحلة تاريخية تجاوز خلالها المقدسات الدينية ونزع عنها كل صفات التقديس، بغض النظرعن إنشائه لمقدسات أخرى غير دينية على رأسها محرقة اليهود(١٢١) إضافة إلى حرية الإساءة.

تلك المحرقة الوهمية المسماة بـ "الهولوكوست"، والتى يزعم اليهود أن هتلر النازى أحرق فيها ستة ملايين يهوديا وهم أحياء، قد استغلت الصهيونية هذا الادعاء الكاذب فى ولادة الدولة العبرية اليهودية، ولادة مقدسة بالنظر إلى كون الهولوكوست – وفق تعريف موسوعة لاروس العالمية – قربان لدى اليهود، تحرق فيه الضحية بالنارتماما (١٢٢).

وقد علق جارودى على هذا التعريف قائلا: بذلك التعريف للهلوكوست أصبح استشاد اليهود لا يعادله استشاد آخر نظرا لطابعه القربانى الذى أدمجهم

ضمن المشروع الإلهى على طريقة صلب المسيح فى اللاهوت المسيحى، مفتتحا بذلك عصرا جديدا، الأمر الذى أتاح لأحد الحاخامات أن يقول: إن إنشاء دولة إسرائيل هو رد الرب على الهولوكوست(١٢٣).

ولولا أن المقام لا يتسع هنا لتحقيق هذا القول لسقت من الدلائل ما لاحصر لها تظهر أكاذيب وافتراءات رجالات العالم الصهيوصليبى، ليس فى هذا المضمار فحسب بل وفى كافة مناحى الحياة؛ ولكن حسبنا فى هذا المقام أن نؤكد على هذا القانون الذى سنه الصهاينة بمباركة من رافعى راية الصليب، والذى يقضى بمحاكمة كل من أنكر محرقتهم المزعومة فى أى بقعة من بقاع الأرض، واتهامه بمعاداة السامية، لأن من أنكر المحرقة، أنكر معها استشهادهم قربانا لله، ومن أنكر هذا وذاك فقد أنكر دولة بنى صهيون، ومن أنكر قيام دولة بنى صهيون فقد ارتكب خطيئة هى أكبر كبائر الخطايا فى واقعنا المعاصر؛ أما ازدراء وإهانة الإسلام ونبى الإسلام والمسلمين، فهذا عندهم من قبيل التقرب إلى الرب، ومن قبيل حرية الرأى والفكر والإبداع، وكما يقول الدكتور اللاوندى: إن الإصرارعلى إهانة المسلمين فى قدس أقداسهم، والحجج التى تساق بشأن انتصارهم لحرية الرأى والتعبير لهى حجج واهية، فضلا عن أنها غير صحيحة، لأن هناك جملة من القضايا ذات الصلة بتاريخ اليهود فى أوروبا وأمريكا محظور- حظرا تاما-على جميع وسائل الإعلام أن تتعاطى معها – لا تلميحا ولا تصريحا- وهذا معناه ببساطة ووضوح أن أى مسئول أوروبى أو أمريكى، يمكنه أن يتصل بإدارة التحرير فى أى صحيفة ليملى ما يشاء. إن الغرب الذى يزعم أنه ينتصر لحرية الرأى مع أنه فى أحداث مشابهة ذبح حرية الرأى دون أن يبالى(١٢٤).

وما كان لنا أن نغادر هذا المبحث دون الإشارة إلى الهجوم الإرهابى المسلح الذى وقع على صحيفة – شارلى إبيدو– الفرنسية، بتاريخ – الأربعاء ٢٠١٥/١/٧– والذى راح ضحيته – ١٢ من العاملين بالصحيفة – وقد أثار الهجوم الرأى العام العالمى لسببين، **أولهما:** أن مرتكبى الحادث من المسلمين، **وثانيهما:** أن الصحيفة قد سبق لها نشرالرسوم المسيئة للرسول (ﷺ) مما دفعهم إلى الاعتقاد بأن الحادث دبر للإنتقام من الصحيفة والقائمين عليها؛ وقد توالت ردود الفعل – عالميا ومحليا – بين الإدانة والشجب، والسب والقذف للمسلمين ودينهم، علما بأنه كان من بين الضحايا من يعتنق الإسلام دينا، لكن ذلك لم يشفع لا له، ولا للإسلام ولا للمسلمين لوجود حالة من الاستنفار الدائم ضد الإسلام والمسلمين، وحالة من التربص جعلت بعض الصحف الأوروبية تزيد الأمر اشتعالا بإعادة نشر الصور المسيئة للرسول (ﷺ) فى تحد سافر لمشاعر المسلمين. على أن أبرز ردود الأفعال جاءت من – يعقوب ويسبرج– رئيس تحرير صحيفة– سليت الأمريكية – حيث قال: أفضل رد على هجوم شارلى إبيدو– خلاف مطاردة ومعاقبة القتلة – هو– انتقاد الكفر(١٢٥).

ولكن السؤال الذى يطرح نفسه سريعا بعد هذا القول اليعقوبى: أى كفر ذلك الذى يقصده يعقوب؟

الإجابة تأتى فى تعليق صحيفة – تليجراف – البريطانية، حيث: رأت الصحيفة أن العلمانية ليست الحل، بل المشكلة – أن نبذ الغرب للمؤمنين بوجود الله جعل الأمر صعبا أمام إمكانية الانسجام مع الإسلام، اللازم لتماسك النسيج الاجتماعى(١٢٦).

وقد شددت– تليجراف على "ضرورة الموازنة بين حرية التعبير والحاجة للتماسك الاجتماعى فى أوروبا، التى تعتبر– الإله – متوفيا. وتقدس الكفر منذ

عقود طويلة، لاسيما أن العداء للإيمان هو بالتأكيد أحد الأسباب التى تجعل من المستحيل الاندماج مع العالم الإسلامى(١٢٧).

وما لايمكن الاندماج معه يصبح طرده، ومطاردته وسحقه أينما حل أو ارتحل، واجبا مقدسا نحوعقيدة الكفرالتى زعمت موت الإله، ومن ثم أظهرت العداء للإيمان. وقد قال كارن آمسترونج فى كتابه – الله لماذا–: أما اليوم، فنجد أن إله الديانات التوحيدية، قد تدهور مفهومه بين أقوام عديدة فى الغرب بخاصة ليصبح – إلها عاليا – ومن ثم، لم تعد العبادات والطقوس التى كانت قد جعلت منه رمزا مقنعا للمقدس، فاعلة، وتوقف كثير من الناس فى الغرب، عن المشاركة فيها، ومن ثم، زوت حقيقته وتلاشت، بل يمكن حتى القول إنه قد رحل بعيدا(١٢٨).

هنا الكفر يزدرى الإيمان، يزدرى المؤمنين، يسخر منهم، يسخرمن كل المقدسات الدينية تحت شعارالحرية، وقد تناسى هؤلاء القاعدة العامة فى الحريات وهى التى تقول: إن حريتك تنتهى عندما تبدأ حرية الآخرين، ومن ثم فإن القول بحرية الإساءة، هو أكبرإساءة للحرية ذاتها. هذا وقد هلل بعض المسلمين لتعقيب الرئيس الفرنسى – فرنسوا أولاند –على الهجوم الإرهابى بقوله: "يجب أن نكون صارمين فى معاداة السامية والعنصرية، ويجب ألا نخلط بين الإرهابيين والديانة الإسلامية، فمنفذو العمليات الإرهابية فى فرنسا لاعلاقة لهم بالديانة الإسلامية(١٢٩).

وأبدا لم يكن أولاند ليقصد تبرأة ساحة الإسلام من الإرهاب بصورة قاطعة، وليس أدل على ذلك من كلمة– صارمين– عند الحديث عن معاداة السامية اليهودية، والقانون الذى سنته لمن ينتقد ممارسات اليهود والصهاينة، على مستوى العالم كله، إنها عنصرية القمع، التى تهدف إلى ترسيخ مبادئ –

الأنا المتضخم – القائل أنا وما بعدى الطوفان، وإلى ترسيخ الاستعلاء للسامية التى تعد وبحق الوقود الحيوى لإشعال واشتعال معظم حالات الإرهاب الكونية، إن لم تكن كل الحالات.

إن ازدراء الدين الإسلامى والمسلمين، واحتضان وحماية من ينتهج هذا المنهج، سواء أكان منا أومنهم، وكذا الإساءة لنبيه محمد (ﷺ) بالقول أو بالرسم، تحت راية حرية الفكر والإبداع، كل ذلك لهو من جملة الأكاذيب التى تتبرأ منها تلك الحرية المزعومة، فضلا عن تبرأها من هذه الإساءة التى هى فى حقيقتها دعوة صريحة لاستفزاز مشاعر المسلمين، ودفعهم دفعا نحو ثورة غضب قد ينجم عنها بعض أحداث عنف تتلقفها وسائل الإعلام العالمية التى تسيطر عليها المنظمات الصهيوأمريكية لتصنع منها أكبر حملة دعائية مروجة لفرية الإرهاب الإسلامى، وإرهاب المسلمين.

الخاتمة

كتب جان بودريار فى كتابه – روح الإرهاب – تصورا خاصا يكاد يلخص أحداث العصر التى كان لها الأثر الأكبر فى غرس بذور الإرهاب فى العالم كله، حتى وصلنا وفق تصوره الى ما أسماه بالحرب العالمية الرابعة، إذ كما يقول: كانت الحربان العالميتان الأوليان تستجيبان لصورة الحرب الكلاسيكية، فالأولى وضعت حدا لسيطرة أوروبا وللعصر الاستعمارى، أما الثانية فقد أنهت النازية، فى حين الثالثة التى قامت فعلا فى صورة حرب باردة وحرب ردع قد وضعت حدا للشيوعية، ومن حرب إلى أخرى كنا نتقدم فى كل مرة خطوة إضافية فى اتجاه النظام العالمى الوحيد، واليوم يجد هذا الأخير نفسه، وقد بلغ نهايته بالقوة، فى صراع مع القوى المتخاصمة والمنتشرة فى كل مكان فى قلب العالم ذاته، فى كل الاضطرابات الراهنة. حرب طاحنة لكل الخلايا، لكل الخصوصيات التى تتمرد فى صورة أجساد ضدية، مجابهات بلغت فى امتناعها على الإدراك مستوى يجب معه من وقت لآخر إنقاذ فكرة الحرب من خلال مسرحيات صارخة شأن حرب الخليج، أو حرب أفغانستان. لكن الحرب العالمية الرابعة تقوم فى مكان آخر. إنها الحرب التى تلازم كل نظام عالمى، كل سيطرة مهيمنة، ولو كان الإسلام يسيطر على العالم لوقف الإرهاب ضد الإسلام(١٣٠).

وما علينا إلا أن نتأمل تلك الكلمات جيدا لندرك من خلال ترتيبه للحروب الثلاثة الأولى أن لا واحدة منها لها علاقة مباشرة – من ناحية أسباب نشوبها – بالمسلمين، فكل الخراب والدمار العالمى، وعشرات، بل مئات الملايين، من القتلى والمشردين، كل ذلك لايسمى عندهم – بسببهم – إرهابا، إن ذلك فى

ثقافتهم حروب، أيا كانت أسبابها وغاياتها؛ وبما أن الحروب لن تتوقف ولن تنقطع من على وجه الكرة الأرضية، إذا ينبغى أن يظل شبح الحروب مخيما فوق رؤوس البشرية كلها، ينبغى أن تظل فكرة الحرب طافية على سطح الأحداث، بل و ينبغى ألا يأفل نجم الحرب أبدا، من أجل بقاء ونماء ذلك النظام العالمى، الذى يسيطر ويهيمن، اقتصاديا وثقافيا ودينيا، وعسكريا، وسياسيا؛ وبما أن الإسلام لايحكم ولايسيطر فإن الإرهاب لا يلتفت إليه، ولا يقف ضده، ولكن النتيجة الحتمية المترتبة على فهم النص تقود إلى أن الإسلام يقف ضد سيطرة وهيمنة النظام العالمى، ومن وقف ضد هيمنة وسيطرة هذا النظام العالمى فهو إرهابى.ومن ثم ردد الجميع مع – مايكل أنجلو – قوله: أما الأن فكل أصابع المتعصبين الغربيين تشير إلى الإسلام على أنه المصدر المسئول عن الإرهاب المتأسلم ويهدد بأن يصبح الشيطان والعدو رقم واحد الذى يقود الحرب المقدسة ضد طريقتنا الخاصة جدا فى الحياة(١٣١).

وإن تعجب فكل العجب فى استخدامهم مصطلح الحرب المقدسة لإلصاقه بالإسلام، وهمو الذين دأبوا على اطلاقه عندما خاضوا حروبهم الصليبية المقدسة، أضف إلى ذلك لبطلان إدعائهم الكاذب أن مصطلح – الحرب المقدسة– لم يرد فى القرآن الكريم ولا فى السنة النبوية المطهرة، وذلك بخلاف مع ما ورد فى كتابهم المقدس وشروحه من حروب إبادة باسم الرب، فضلا عن أن التاريخ الحديث والمعاصر يخلو من ذكر، أو إشارة إلى حرب واحدة شنها المسلمون على العالم الغرب أمريكى أوغيره؛ وخير تعبيرعن اتهاماتهم الدائمة لنا بالإرهاب، هو الحكمة الشعبية الدارجة فى مثل هذه الأحوال والقائلة: رمتنى بدائها وانسلت؛ فقد رمانا الغرب أمريكى بما هو غارق فيه، متنصلا من كل الانتهاكات والجرائم التى ارتكبها فى حق الإنسانية، مدعيا أنه

مجنى عليه لاجانى؛ فإذا ما عدنا إلى تأمل النص ثانية فلاشك أن الدهشة والاستغراب لن يجديا نفعا أمام كثرة الأغاليط والمتناقضات التى يصر هؤلاء القوم على ارتكابها والوقوع فيها سواء أكان ذلك عمدا أوبغير عمد، إذ ما معنى أن تكون حرب الإسلام والمسلمين ضد طريقتهم الخاصة فى الحياة، وتلكم الطريقة هى عينها الطريقة التى غزوا بها العالم وفرضوها عليه فرضا كاد يفوق فروض العبادات؛ وقد أظهرت جانبا من هذه الطريقة عند مناقشة طريقتهم فى الإرهاب الثقافى، وما علينا الأن إلا أن نستمع إلى جارودى وهو يقول: كل البلاد التى عرفت الحضارة الغربية عرفتها من خلال ثلاثة وجوه، العسكرى والبائع والمبشر، الأول يعرض عليها أسلحته، والثانى نموذجه الاقتصادى، والثالث دينه(١٣٢).

وإذ نسلم لجارودى بصحة هذا القول، إلا أن التحفظ على استخدامه الفعل المضارع – يعرض – لهو من ضروريات الواقع الذى يفرض علينا استخدام الفعل الماضى – فرض –، إذ فرض العسكرى سلاحه، وفرض البائع نموذجه الاقتصادى، وفرض المبشر دينه؛ ففرض فعل ماضى، دلالته تعنى أن هذه الأشياء فرضت علينا وأنتهى بنا الأمر إلى القبول والإذعان، بل وإلى التشبث بها؛ وأما الفعل – يعرض – الذى استخدمه – جارودى – فإنه يتنافى مع الواقع، حيث دلالة العرض توحى للمتلقى بصورة شبه مؤكدة على وجود حرية فى إختيار المعروض، إما بالقبول، وإما بالرفض، وهذا ضرب من ضروب الوهم والخيال؛ فسحقا لكل من عارض طريقتهم فى الحياة، سحقا لمن لم يدرك الأن وبحق، أنه فى عالم الإرهاب الاقتصادى، فى عالم الإرهاب الثقافى والدينى، يقف الإرهاب العسكرى المسلح بترسانة نووية، ومن خلفه يقف الإرهاب السياسى الذى يحرك كافة المنظمات العالمية بأصابع يديه، كعرائس

الماريونت، ليعيش عالمنا الإنسانى تحت وطـــاة الإرهـــاب الغـــرب أمريكـــى والصهيوصليبى، إنه إرهاب الإذلال والتجويع، إرهاب مسخ العقـــول وطمـــس الهوية، إرهاب القتل والإبادة للجميع بدم بارد، إرهاب عالم السادة لعالم العبيـــد، وما كان لهم أن يكونوا سادتنا إلا بقتلنا، إذ كلمـــا ازدادوا قـــتلا، كلمـــا ســـمت مكانتهم وارتفعت فوق جثث القتلى، وربما كان هذا ما عبرعنه مايكـــل أنجلـــو بقوله: الإنسان هو الكائن الوحيد الذى يقتل بنى جنسه بانتظـــام..ولقـــد أصـــبح الإنسان سيد كل الحيوانات لأنه قاتل قبل كل شئ(١٣٣).

ومن ثم فليس بمستغرب أن تستمع لصوت هذا العـــالم الغـــرب أمريكـــى والصهيوصليبى وهويصرخ قائلا: اتركونا نصلب الإنسانية على هذا الـــصليب من الذهب(١٣٤). **وكأن الإنسانية لم تصلب، وكأن المسيح الذى دفع به أبـــوه – وفق معتقدهم – ليكون فداء للبشر لم يفدهم، ولم ينجح فـــى تطهيـــرهم مـــن الخطيئة الجدية، ومن ثم عادوا أدراجهم بحثا عن مخلـــص جديـــد يـــصلبونه لأجلهم وحدهم، ومن أجلهم فقط.**

الإرهاب بين قابيل وهابيل:

ما من شك فى أن إنهاء البحث بهذا النص الصريح، والذى تـــصلب فيـــه الإنسانية بيد العالم الغرب أمريكى والصهيوصليبى لهو نتيجـــة معبـــرة تعبيـــرا منطقيا لكل ماسبق ذكره عن الإرهاب مفهوما وغاية بين المفهـــومين الغربـــى والإسلامى، بيد أن الانتقال من المفهوم المعاصر للإرهاب وغاياته إلـــى بدايـــة الخليقة فجأة، لهى قفزة تسترعى الإنتباه العقلى، فإذا لـــم يكـــن لهـــا مايبررهـــا ستصبح عبثا لاطائل يرجى من ورائها، وكلمة الفصل نجدها فى الآية الكريمة: **"وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ – لَئِنْ بَـــسَطْتَ إِلَـــيَّ يَـــدَكَ**

لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ- إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ - فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ"(١٣٥).

ووجه الاستشهاد أن الآية عمدت إلى تصوير لحظة البدء للصراع البشرى بين الأخوين الشقيقين، وفيه وقعت أول حادثة قتل، تعمد فيها قابيل إزهاق روح أخيه هابيل، لقد قتله ضاربا عرض الحائط بالنتيجة التى انتهت إليها واقعة القرابين، لقد تمرد قابيل وعصى وقتل، لقد تضخمت آناه، وامتلأت نفسه غيرة وحقدا وطمعا، فقتل من سالمه، لقد قتل الأخ الذى جنح للسلم على يد أخيه الذى أعماه الطمع، واستعبدته الشهوة، وعصفت به الأهواء، وهو عين المنهج الغرب أمريكى والصهيوصليبى فى القتل والإبادة، إذ لو سأل قابيل لم قتلت أخاك هابيل؟ لأجاب إجابة قاطعة بقوله: إنه إرهابى، عمد إلى إغتصاب ما أردت لنفسى، ولو ترك وشأنه دون مجابهة منى، لاستحوذ لنفسه على كل شئ؛ وهكذا لن نترك وشأننا، هكذا سنقتل، وهكذا سنذبح كقرابين لإله متعطش للدماء منحهم حق الإمتياز على جموع البشر، وهو الإله الذى صدق فيه قول – جان جاك رسو –: إن إلها يختار شعبا ويمنحه امتيازاغتصاب وتدميرالآخرين لايمكن أن يكون إلها للبشر أجمعين(١٣٦).

وفى هذا تأكيدا على مقولة الضابط الأمريكى – بويكنز– والتى ذكرت فى بداية البحث، وفيها قال: كنت أعلم أن ربى أكبرمن ربه، وأن الرب المسيحى، كان ربا حقيقيا، بينما كان رب المسلمين فكرة خاطئة؛ وقد علمنا الأن سبب مقولته هذه، لأن إلهه ليس إلها للبشر جميعا، بل هو لأصحاب الصليب ونجمة داود، أما إله المسلمين وربهم، فهو إله البشر جميعا ، ورب العالمين.

وهكذا باسم إلههم الخاص تنتهك أعراضنا وتسرق أحلامنا فى حياة ليست حياتنا، بل هى حياة قاتلينا الذين وصمونا بالإرهاب كما وصم قابيل هابيل، فالقاتل ولى، والمقتول إرهابى، القاتل رافع لواء السلم، وحامى حما الإنسانية، والمقتول رافع راية العصيان، ومهدداعرش الحرية والأمان. فوفقا للمنهج القابيلى والذى هوعين المنهج الفرعونى هكذا يوصف الدين الإسلامى بالإرهاب، ويوصف اتباعه بالإرهابيين.

وما علينا إلا أن نظل حبيسى هذا التصور الغرب أمريكى والصهيو صليبى، وما علينا إلا أن نظل حبيسى الجهل والتخلف والتشرذم، نسبح بحمد القهر والاستبداد، وليحيا أبناء الرب وأحبائه، رافعى لواء السلام العالمى، ولتسقط الرجعية والتخلف المتمثلان فى دين الإرهاب، دين الإسلام؛ لنسقط جميعا لأننا لم نعد لهم ما استطعنا من قوة نردعهم بها، وندفع بها عنا كيدهم ومكرهم، ومادمنا لم نعدها فنحن لانملكها، وما دمنا لانملكها، فهذا يعنى أننا لا نملك من وسائل الدفاع إلا الكلمة، وفى عالمنا اليوم الكلمة الواحدة تحتمل تفسيرات عديدة، ومفسرو الكلمة همواالذين يملكون أدوات التفسيرالعصرى وأدوات التفسيرالعصرى ليست فى كتب اللغة، ولا فى معاجمها، فتلكم الطريقة فى التفسير قد تجاوزها الزمان إلى غير رجعة، إنما التفسير للكلمة اليوم هو التفسير الخاضع للقوة بكل أشكالها وصورها ومعانيها، وكل غايات السواد الأعظم من مفسرى الكلمة اليوم يسيرفى نفس الركب، يصبو إلى بلوغ نفس الغايات التى يسعى إليها دائما موزعو تهم الإرهاب – الدولى والمحلى – على العالم.

والآن، وبعد خوض غمارهذه الجولة التى أظنها أرهقت العقل، وآلمت النفس، على ما لحق بنا، وآلت إليه أحولنا، أترى هل مازال السؤال حول الإرهاب – مفهوما و وسيلة وغاية – قائما ومطروحا على الساحة؟.

الإجابة: نعم، إنه مازال مطروحا، وسيظل مطروحا على مسامع البشر فى كل زمان ومكان، لا لشئ إلا لأننا جميعا متهمون بالإرهاب الهابط؛ فأنت إرهابى؛ أنا إرهابى؟ نعم أنت إرهابى؛ لا لست إرهابيا، وإنما الإرهابى هو أنت، أنا؟ نعم أنت، لا بل أنت !!! وهكذا ندور وسندور فى حلقة مفرغة، وفى نفس الوقت مفزعة، المنتصر فيها لن يهنئ بانتصاره، لن يجنى العالم الغرب أمريكى سلما ولا سلاما، مادام يصر على أن يحكم العالم بالقوة والقهر والأكاذيب، لن يجنى العالم الغرب أمريكى والصهيوصليبى أمنا ولا أمانا مادام يصر على نشر الخوف والكراهية فى القلوب، وكما لن يهنئ المنتصر، فلن يهنئ الموالون له، لن يهنئ الموالون من عالمنا لعالم أسياد العالم، للصهيوصليبية، كما ولن يهنئ دون شك المنهزمون المنسحقون تحت وطأة خطى الأسياد، لن ينعم أحد فى عالمنا المعاصر بالأمن والاطمئنان، لن يهنئ العالم بشئ مادام هناك من نصب نفسه سيدا فى عالم انتهت فيه تجارة الرق نظريا من الحياة، لكن يبقى الواقع العملى خير شاهد على أن أربعة أخماس البشر فى العالم عبيد عند الخمس الذى جعل عالمنا أكبر سوق للنخاسة فى التاريخ البشرى كله، رغم زعمهم بأننا نعيش زمن الحرية وفق النصوص التى صادقت عليها المواثيق الدولية، والتى زيلت بتوقيع القوى العظمى، والتى لم تعبر قراراتها – الإجابية – أيضا الحدود الغرب أمريكية، كما لم تغادر تلك القرارات أبدا السطورالتى دونت عليها إلا فى الخطاب السياسى المرسخ لمفهوم الأنا المتضخم، والأنانية الذاتية، إضافة إلى أعظم مصطلحات العصر، وهو الأنا مالية المشرذمة للإمة الإسلامية والعربية؛والتى لخصها المستشرق الفرنسى لورانس براون – من قبل – بقوله: إذا اتحد المسلمون فى إمبرارطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا داهما، أما إذا

بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولاتأثير، ويجب أن يبقى العرب والمسلمون متفرقين ليبقوا بلا قوة ولاتأثير.

أهم نتائج البحث:

أولا: وقف العالم الغرب أمريكى بنا حيث يريد من خلال الترويج لمفهوم واحد لكلمة – إرهاب –، إذ أغفل العالم كله، شرقه وغربه، شماله وجنوبه، مسلميه، ومسيحيه، ويهوده، وغيرهم، مفهوم الإرهاب الصاعد الذى يرهب فيه الفرد والجماعة والدولة، بهدف إنضواء الفرد تحت جناح الجماعة، وإنضواء الجماعة تحت جناح الدولة، وإنضواء الدولة تحت جناح القانون الدولى، المنظم لعلاقة الدول بعضها ببعض؛ فمثل هذا النوع من الإرهاب أو التخويف لايرد ذكره، ولا يسمع به أبدا رغم ممارسته على نطاق واسع فى كل مناحى الحياة. وكأنى بكلمة إرهاب قد انسلخت من كل معاجم وقواميس اللغات عن معانيها المتعددة لتصبح مرادفة، أو ذات دلالة مطابقية لكل معانى التخريب والهدم وسفك الدماء وترويع الآمنيين؛ فنتج عن ذلك تداخل المفاهيم حول دلالة الكلمة فى أذهان الأفراد والجماعات والدول، فكل فعل يهدف إلى التخويف، هو فعل إرهابى بمعناه الهابط، أى بالمعنى الذى يهدف إلى الهدم.

ثانيا: إن التعريفات الدولية للإرهاب وإن حصرت مفهوم الإرهاب فى استخدام القوة للقهر والغلبة والحصول على مكاسب سياسية وأيدولوجية، إلا أنها خالفت هذا المفهوم عندما تعارض مع ما تنتهجه من سياسات – برجماتية – نفعية فى كافة أنحاء المعمورة؛ يؤيد ذلك ما جاء فى أكثر من موضع فى كتاب – بروتوكولات حكماء صهيون– حيث جاء فى البروتوكول الأول قولهم: يجب أن يلاحظ أن ذوى الطبائع الفاسدة من الناس أكثرعددا من ذوى الطبائع النبيلة.

وإذن فخير النتائج فى حكم العالم ما ينتزع بالعنف والإرهاب، لا بالمناقشات الأكاديمية[١٣٧].

ثالثا: إن الإرهاب الدولى الذى تقوم به الدول الكبرى لايتم تصنيفه ضمن الوقائع الإرهابية، باعتبارأنهم هم الذين يضعون هذه التصانيف، ويخضعون العالم لها، وهم فوق العالم وفوق الإخضاع، إرهابهم قانون دولى، وقانونهم إرهاب، إرهابهم سياسة، وسياساتهم إرهاب؛ اقتصادهم إرهاب، ثقافتهم إرهاب، دينهم الإرهاب.

رابعا: الإرهاب صناعة من أكبر الصناعات العالمية- دولية ومحلية- موطنه الأصلى العالم الغرب أمريكى والصهيوصليبى، لهم وكلاء فى كافة أنحاء المعمورة، بالجنس والمال يتم التجنيد، وربما باسم الدفاع عن الدين والهوية، يستقطب طائفة من شباب الأمة سممت أفكارهم، وغيبت عقولهم بفعل من أفاعيلهم، جميعهم يتلقى التدريبات العملية على يد خبراء فى كافة الأعمال القذرة، القتل والاغتيالات والتفجيرات، كلها يهدف إلى إثارة الفوضى والزعر بين الناس بهدف ابتزاز الحكام تارة، وتارة أخرى لاسقاط الحكام والحكومات، وتارة ثالثة لإخضاع الشعوب.

خامسا: إن قادة كبرى المنظمات الإرهابية فى العالم تجلت حقائق إنتماءاتهم للعالم الغرب أمريكى بعد أن لفظهم هذا العالم، لقد انتهت المهمة التى جندو لأجلها، ومن ثم تركهم من صنعهم لمواجهة الحياة بغير غطاء، فانطلقوا فى الأرض فسادا وإفسادا، تحت مسميات كثيرة يجمعها اسم – المرتزقة – يقتلون ويروعون لمن يدفع، يغتالون ويفجرون لمن يدفع، يسرقون ويغتصبون، ليس لهم دين إلا التخريب والخراب، ليس لهم عقيدة إلا عقيدة الأنا المتضخم، ليس لهم شريعة، إلا شريعة اللذة والنفعية الدموية.

سادسا: إن التجويع والفقر والحرمان باسم اقتصاد السوق، إن الظلم والقهر والاستبداد باسم سياسة القوة، إن اليأس والقنوط وفقدان الأمل باسم ثقافة بلاد العم سام، إن الاستعباد فى زمن الحرية، لهى خير تربة تنبت فيها بذر الإرهاب ثمارا لاتؤكل، وإنما تتفجر لتملأ القبور بدلا من البطون التى تصطرخ العالم جوعا.

وقد قال جان بودريار: إن الإرهابيين مع امتلاكهم الأسلحة التى هى أسلحة النظام يمتلكون فضلاعن ذلك سلاحا حاسما: موتهم. ولو أنهم اكتفوا بمقاتلة النظام بأسلحته الخاصة به لقضى عليهم على الفور، ولوانهم لم يواجهونه إلا بموتهم لتلاشو بسرعة مماثلة فى تضحية غير مجدية(١٣٨).

سابعا: إن الاتجاه العالمى لمحاربة الإرهاب لايختلف فى شئ عن السياسات الغرب أمريكية والصهيو صليبية تجاه العالم كله، فهل يحارب هذا العالم نفسه لكونه الصانع الأكبر للإرهاب، أم تبقى محاربة الإرهاب وهما يسوقه إلينا هذاالعالم الأول، لإخفاء القصد الحقيقى من وراء هذه الدعوات، وهوالقصد المتمثل فى محاربة الإرهاب بوصفه إرهاب الإسلام والمسلمين، ويقينا هذا هو القصد بحسب الواقع من جهة، ومن جهة أخرى ماصرح به – بيلجر – من أنه: ليست هناك فى الحقيقة حرب ضد الإرهاب، فمثل هذه الحرب ليست ممكنة مادام الائتلاف الذى يشنها يضم البعض من الدول التى تقود الإرهاب فى العالم(١٣٩).

وليس أدل على صحة هذا القول من تلك المسيرة التى ضمت غالبية زعماء العالم الغرب أمريكى والصهيوصليبى، وبعض زعماء العالم الإسلامى والعربى من أجل التنديد بالأعمال الإرهابية، ومن أجل التضامن مع صحافى جريدة – شارلى إيبدو – التى نشرت الرسوم المسيئة، فعلى الأراضى الفرنسية

اجتمع هؤلاء فى المسيرة التى كان على رأسهم أوباما – رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وبنيامين نتن ياهو – زعيم دولة الكيان الصهيونى – وهما أكبرصناع وداعمى الإرهاب فى العالم، وإن تعجب فكل العجب عندما هتفت المسيرة بشعارات عنصرية ضد الإسلام والمسلمين، لكن الذى يفوق العجب أن سفراء العالم الإسلامى والعربى فى هذه المسيرة واصلوا المسيرة وكأن الذى يهتف ضده لايعنيهم، أو ربما أرادوا تقديم رسالة دعم وتأييد لاتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب.

ثامنا وأخيرا: سيبقى الإتهام الدائم بالإرهاب للإسلام والمسلمين أداة إلهاء، وركيزة أساسية للحرب المعلنة على هذه الأمة لتبقى فى حالة الوهن والضعف والتشرذم، إنه الاتحاد العالمى لتمديد ونصرة المعتقد الصهيوصليبى، فى مواجهة الزحف الإسلامى الإرهابى – وفق زعمهم – الذى يسعى جاهدا، وبكل ما أوتى من قوة – وفق عريضة الاتهام – إلى غزو العالم الغرب أمريكى، إلى محو هويته، وإلى فرض معتقده وثقافته على شعوبه المحبة للحرية، والمقدسة للسلام، من أجل ذلك سنظل دائما مفعول بنا، لافاعلين، سنظل فى دائرة مغلقة، ستظل عقولنا منغلقة، سنظل تابعين لمن لقبنا بالإرهابيين.

المراجع والمصادر

١- المذهب فى الفلسفة – مراد وهبه – مكتبة الأنجلو – سنة ١٩٧٨- نقلا عن: ملاك الحقيقة المطلقة – مراد وهبة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – سنة ١٩٩٩- ص ٢٢٥.

٢- سورة البقرة – من الآية ٢٥٦.

٣- سورة الكهف – من الآية ٢٩.

٤- سورة الكافرون – الآية ٦.

٥- سورة الإسراء – من الآية ٨٥.

٦- الفلسفة القرآنية – عباس محمود العقاد – دار الهلال – ص ١١.

٧- قصة الأمم المتحدة – ليونارد س. كـوورذى – ترجمة: محمد إبراهيم زكى – مؤسسة سجل العرب – سنة ١٩٦٤- ص ٢٢٤.

٨- المصدر السابق – ص ٢٢٦.

٩- الهوية والعنف – آمارتيا صن – ترجمة: سحر توفيق – عالم المعرفة – الكويت – سنة ٢٠٠٨- عدد٣٥٢- ص ٢٨.

١٠- المصدر السابق – ص ١٢، ١٣.

١١- الهوية والعنف- ص ٢٩.

١٢- صناعة الجوع – فرانسيس مورلابيه- ترجمة: أحمد حسان- عالم المعرفة – عدد ٦٤ لسنة ١٩٨٣- ص ١٢، ١٣.

١٣- دروس فى القرآن الكريم – الإمام محمد عبده – دار الهلال – بدون تاريخ – ص – ٩٨.

١٤- سورة يوسف – آية رقم -٢.

١٥- مختار الصحاح- ص – ٢٨٠.

١٦- المصباح المنير – ص – ١٤٦ ، ١٤٧.
١٧- المعجم الوجيز- ص – ٢٧٩.
١٨- سورة البقرة – آية رقم – ٤٠.
١٩- سورة الأنبياء – آية رقم – ٨٩ ، ٩٠.
٢٠- سورة الأنفال – آية رقم – ٦٠.
٢١- سورة الأعراف – آية رقم – ١١٥، ١١٦.
٢٢- المنتخب فى تفسير القرآن – ص –١١.
٢٣- مختصر بن كثير- ج١ – ص –٥٧.
٢٤- مختصر بن كثير- ج٢ – ص – ٥٦.
٢٥- المنتخب فى تفسير القرآن – ص – ٤٨٣.
٢٦- المنتخب فى تفسير القرآن – ص – ٢٢٣.
٢٧- مختصر بن كثير- ج٢ – ص – ١١٥.
٢٨- التعريفات – للجرجانى – دار الريان للتراث – ص – ١٣٧.
٢٩- الأعراف – آية رقم – ١٧٢.
٣٠- سورة الإسرء – آية رقم ٣٤.
٣١- الخوف – دكتور أحمد فؤاد الأهوانى – دار المعارف – سنة ١٩٥١ م – ص- ٣١ – بتصرف.
٣٢- المصدر السابق – ص – ٢٠.
٣٣- المنتخب فى تفسير القرآن – ص- ٢٥٣.
٣٤- مختصر بن كثير – ج- ٢ – ص – ٤١.
٣٥- المصدرالسابق- ص- ٤٢.
٣٦- سورة طه – آية رقم – ٤٩.

٣٧- سورة النازعات – آية رقم – ٢٤.

٣٨- سورة القصص – آية رقم – ٣٨.

٣٩- سورة طه – آية رقم – ٥٨.

٤٠- سورة طه – آية رقم – ٦٠.

٤١- سورة الأعراف – آية رقم – ١١٣، ١١٤.

٤٢- سورة طه – آية رقم – ٦٧، ٦٨، ٦٩.

٤٣- سورة طه – آية رقم – ٧٠.

٤٤- سورة طه – آية رقم – ٧١.

٤٥- سورة غافر– آية رقم – ٢٦.

٤٦- سورة القصص – آية رقم – ٤.

٤٧- سورة البقرة – آية رقم – ٤٩.

٤٨- أساطير إرهابية – بين الوهم والمغالاة والواقع – تأليف: بيتر سى سيدربرج – ترجمة: عفاف معروف – ص – ٤٣، ٤٤.

٤٩- المصدر السابق– ص – ٤٤.

٥٠- الإرهاب الدولى – تأليف: ناعوم شومسكى – ترجمة: لبنى صبرى – سيناء للنشر– ص ٥٣.

٥١- أمريكا طليعة الانحطاط – تأليف: روجيه جارودى – ترجمة: عمرو زهيرى– دار الشروق – ص ٥٣.

٥٢- أساطير إرهابية – ص – ٤٧.

٥٣- الإرهاب الدولى – ص –٨١.

٥٤- المصدر السابق – ص – ٧٣.

٥٥- صدام الحضارات – تأليف: صا مويل هنتنجتون – ترجمة: طلعت

الشايب – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ص – ٣٣٩.

٥٦- المصدر السابق – ص- ٥٣.

٥٧- المصدر السابق – ص- ٥٣.

٥٨- المصدر السابق – ص – ٣٤٠، ٣٤١.

٥٩- الإسلامو فوبيا – تأليف: دكتور سعيد اللاوندى – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ص- ٢٠٣.

٦٠- الإسلام والغرب- تأليف: د/ السيد عطاء الله مها جرانى – ترجمة: د/ عادل عبد المنعم سويلم – مكتبة الشروق الدولية- ص – ٢٥.

٦١- الإسلامو فوبيا – ص – ٢٠٢.

٦٢- الإرهاب صناعة غير إسلامية – تأليف: د/ نبيل لوقا بباوى – الناشر/ المؤلف – ص – ١٥.

٦٣- المصدر السابق – ص- ١٧.

٦٤- المصدر السابق – من المقدمة – ص -١١.

٦٥- الإسلام فى وجه الزحف الأحمر-الشيخ /محمد الغزالى- ص – ٦

٦٦- انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء- تأليف: د/ نبيل لوقا – ص- ٢٤.

٦٧- الإسلام و الغرب – ص – ٢٢، ٢٣.

٦٨- الإسلام والغرب – ص – ٢٣.

٦٩- فخ العولمة – ص – ٦٠.

٧٠- السيطرة الصامتة – نورينا هيرتس – ترجمة: صدقى حطاب – الكويت – عالم المعرفة عدد ٣٣٦ لسنة ٢٠٠٧- ص- ١٥.

٧١- عولمة الفقر- ميشيل تشوسودوفيسكى – ترجمة: محمد مستجير –

الهيئة العامة للكتاب ٢٠١٣- ص- ٣١١.

٧٢- المصدر السابق – ص ٣١١.

٧٣- إنهيار العولمة – جون رالستون سول – ترجمة: محمد الخولى – الهيئة العامة للكتاب ٢٠١٥ – ص- ١٨٠.

٧٤- أوروبا والتخلف فى إفريقيا – والتررودنى – ترجمة: أحمد القصير – عالم المعرفة – الكويت – عدد١٣٢ لسنة ١٩٨٨- ص ١٢٨.

٧٥- المصدر السابق – ص ٣٣٦.

٧٦- فخ العولمة – ص ٣٦.

٧٧- السيطرة الصامتة – ص- ٥٥.

٧٨- حكام العالم الجدد – جون بيلجر- ترجمة: إسماعيل داود – الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٨- ص١٨٦ ، ١٨٧.

٧٩- السيطرة الصامتة – ص- ٥٦.

٨٠- فخ العولمة – ص- ٧٠.

٨١- المصدر السابق – ص- ٦٠.

٨٢- المصدر السابق – ص- ٢٦.

٨٣- نظرية الثقافة – تأليف: مجموعة من الكتاب – ترجمة: د/ على الصاوى – عالم المعرفة – الكويت – عدد ٢٢٣ لسنة ١٩٩٧- ص ٩؛ وانظر: فكرة الثقافة لتيرى إيجلتون – ترجمة: شوقى جلال – الهيئة العامة للكتاب ٢٠١٢ – ص ٥٣.

٨٤- مصطلحات الفكر الحديث – سامى خشبة – الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٦- ج-١- ص- ٢٥٤.

٨٥- الثقافة – التفسير الأنثروبولوجى – آدم كوبر- ترجمة: ت-راجى

فتحى – عالم المعرفة – الكويت عدد ٣٤٩ لسنة ٢٠٠٨– ص ٢٢٩.

٨٦– المصدر السابق – ص ٢٢٧.

٨٧– الثقافة والمعرفة البشرية – ميشيل توماسيللو– ترجمة: شوقى جلال – عالم المعرفة – الكويت عدد ٣٢٨ لسنة ٢٠٠٦– ص ٢٢.

٨٨– الثقافة – التفسير الأنثروبولوجي – ص ٢٣٥.

٨٩– الثقافة فى عصر العوالم الثلاثة– مايكل دينينغ – ترجمة أسامة الغزولى – عالم المعرفة – الكويت – عدد ٤٠١ لسنة ٢٠١٣ ص ١٥، ١٦.

٩٠– الدراسات الثقافية – مقدمة نقدية– ايمون ديورنغ – ترجمة: د/ ممدوح عمران – عالم المعرفة – الكويت – عدد ٤٢٥ لسنة ٢٠١٥ – ص ٤٢.

٩١– المصدر السابق – ص ٤٢.

٩٢– المصدر السابق – ص ١٥٣.

٩٣– العولمة الفنية – د / إمام رمضان إمام – دار محيسن للطباعة والنشر– ط١ لسنة ٢٠٠٤ – ص ٦٣ ، ٦٤.

٩٤– أمريكا طليعة الانحطاط – جارودى – ترجمة: عمرو زهيرى – دار الشروق – ط١ لسنة ١٩٩٩ ص ٩٦.

٩٥– الدراسات الثقافية – مقدمة نقدية – ص ٢٩٦، ٢٩٧.

٩٦– العقل الأمريكى يفكر – شوقى جلال – الهيئة العامة للكتاب – ٢٠١٠ – ص ٢٣٤.

٩٧– أعداء الحوار – مايكل ياكوبوتشى – ترجمة: د/ عبد الفتاح حسن

- الهيئة العامة - ٢٠١٠ - ص ٣٩١.

٩٨- العقل الأمريكى يفكر - ص ٢٣٣.

٩٩- المتلاعبون بالعقول - هربرت أ شيللر- ترجمة: عبد السلام رضوان - عالم المعرفة - الكويت عدد ٢٤٣ لسنة ١٩٩٩- ص ٣١ ، ٣٢.

١٠٠- العالم المعاصر والصراعات الدولية - ص ٢٠٦.

١٠١- الإسلام عقيدة وشريعة - دكتور / محمود شلتوت - دارالشروق ١٩٩٠- ص ١١.

١٠٢- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ص ٦٤.

١٠٣- أوروبا والتخلف فى إفريقيا - مصدر سابق - ص ٣٧ بتصرف.

١٠٤- الكنز المرصود فى فضائح التلمود - دكتورمحمد عبد الله الشرقاوى - مكتبة الوعى الإسلامى - ص ٢٨٩.

١٠٥- الكنز المرصود فى قواعد التلمود - دكتور روهلنج - نقلا عن كتاب: يامسلم العالم اتحدوا - عبد الفتاح عبد الحميد - دار الأنصار - ص ٣٢.

١٠٦- استراتيجية العصر النووى - بييرغالوا - ترجمة: محمد سميح السيد - طلاس للترجمة والنشر - دمشق - ط١- ١٩٨٤- ص ١٤؛ وراجع: جذور النصرانية - ص ١٦.

١٠٧- قصف العقول - تايلور- ص١٠٦.

١٠٨- المصدر السابق - ص١٠٦.

١٠٩- استرتيجية العصر النووى - ص ١٤؛ وجذور النصرانية - ص ١٦.

١١٠- أمريكا طليعة الانحطاط - مصدر سابق - ص ٦٢.

١١١- نقلا عن كتاب: المسلمون فى البوسنة - دكتور/ رشدى عزيز محمد - ج٢- ١٩٩٥ ص١٦٨ ، ١٦٩.

١١٢- نقلا عن المصد السابق - ص ١٦٩.

١١٣- نقلا عن المصدر السابق - ص١٧٠.

١١٤- كيف نصنع المستقبل - جارودى - ترجمة: منى طلبة - دار الشروق - ط٢- ٢٠٠١- ص٢٠٨ ، ٢٠٩.

١١٥- المصدر السابق - ص٢٤١.

١١٦- أعداء الحوار - مصدر سابق - ص٢١٤.

١١٧- المصدر السابق - ص ٢١٤.

١١٨- الإسلاموفوبيا - مصدر سابق - ص١٠.

١١٩- رسوم شيطانية - مصدر سابق - ص٨٧

١٢٠- المصدر السابق - ص١٠.

١٢١- المصدر السابق - ص١٦٠ ، ١٦١.

١٢٢- الأساطير المؤسسة للسياسات الإسرائيلية - جارودى - ترجمة ونشر: دارالغد العربى - ص ١٤٣.

١٢٣- المصدر السابق - ص١٤٤.

١٢٤- الإسلاموفوبيا - ص١١.

١٢٥- نقلا عن موقع / مصر العربية.

١٢٦- صحيفة تليجراف البريطانية - نقلا عن موقع مصر العربية.

١٢٧- المصدر السابق.

١٢٨- الله لماذا - كارن آرمسترونج - ترجمة: دكتورة: فاطمة نصر

ودكتورة: هبة محمود – الهيئة العامة للكتاب ٢٠١٠– ص٤٤.

١٢٩– صحيفة تلجراف البريطانية – نقلا عن موقع مصر العربية.

١٣٠– روح الإرهاب – جان بودريار– ترجمة / بدر الدين عرووكـــى – الهيئة العامة للكتاب ٢٠١٠– ص١٦ ، ١٧.

١٣١– أعداء الحوار – مصدر سابق – ص ٢٧.

١٣٢– كيف نصنع المستقبل – جارودى – ص ٢٤٥.

١٣٣– أعداء الحوار – ص ٣٤.

١٣٤– كيف نصنع المستقبل – ص٩٠.

١٣٥– سورة المائدة – آية رقم – ٢٧: ٣٠.

١٣٦– كيف نصنع المستقبل – ٢٧٥.

١٣٧– بروتوكولات حكماء صهيون – ترجمة / محمد خليفة التونـــسى – دار التراث – ص١٥١.

١٣٨– روح الإرهاب – ص – ٢٢.

١٣٩– حكام العالم الجدد – ص – ١٦٦.

فهرس الموضوعات

	الموضوع	الصفحة
١-	مقدمة البحث	٣
٢-	الواقع بين الأقوال والأفعال	٨
٣-	تحرير مفهوم الإرهاب	١٢
٤-	مفهوم الإرهاب فى اللغة	١٢
٥-	مفهوم الإرهاب فى الشرع	١٣
٦-	الإرهاب أنواعه ومقاصده	١٥
٧-	الإرهاب الصاعد – إرهاب البناء-	١٥
٨-	الإرهاب الهابط – إرهاب الهدم –	١٩
٩-	المفهوم الاصطلاحى الغرب أمريكى للإرهاب	٢٤
١٠-	الإرهاب بين المفاهيم والغايات	٢٥
١١-	إرهاب سحرة فرعون	٢٨
١٢-	الإرهاب الغرب أمريكى – نماذج وأنماط –	٣٢
١٣-	الإرهاب الاقتصادى	٣٣
١٤-	الإرهاب الثقافى	٤٠

١٥-	الحروب الثقافية – ثلاثة + واحد	٤٢
١٦-	الإرهاب الدينى	٤٩
١٧-	إرهاب الازدراء الدينى	٥٨
١٨-	خاتمة البحث	٦٦
١٩-	الإرهاب بين قابيل وهابيل	٦٩
٢٠	أهم النتائج	٧٣
٢١-	مصادر البحث	٧٧
٢٢-	فهرس الموضوعات	٨٦